

الإيمان بالكُتُب

بين

إثبات السلف وتعطيل أهل الكلام

تأليف

أحمد بن محمد بن الصادق النجار

ح أحمد بن محمد النجار، ١٤٣٢هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
النجار. أحمد محمد
الإيمان بالكتب بين إثبات السلف وتعطيل أهل الكلام/ أحمد محمد النجار- المدينة المنورة، ١٤٣٢هـ
ص ٢٤ سم
ردمك: ٣-٨٨٢٦-٠٠-٦٠٣-٩٧٨
١-الكتب ٢-الإيمان ٣-أهل الكلام .العنوان
ديوي ٢٤١ ١٤٣٢/١٠٧٠٣

رقم الإيداع ١٤٣٢/١٠٧٠٣

ردمك: ٣-٨٨٢٦-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

أصل هذا الكتاب
بحث قد حُكِّم
في مجلة الدراساتَ العقدية
التابعة
للجمعية العلمية السعودية لعلوم العقيدة
والأديان والفرق والمذاهب

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

✍ **أما بعد:**

فإن العباد مضطرون لمعرفة ما جاءت به الرسل من عند الله ﷻ، وحاجتهم لذلك فوق كل حاجة؛ إذ لا سعادة ولا فلاح في الدنيا والآخرة إلا باتباع ما جاءوا به.

وبمعرفة ما تضمنته الكتب المنزلة من عند الله يتميز الخبيث والطيب علىٰ التفصيل، كما يتميز أهل الضلال من أهل الهدىٰ.

فالكتب المنزلة من عند الله تُعرِّف العبد مواقع رضا الله وسخطه فيما يُقدم عليه الإنسان أو يحجم عنه، كما ترشده للعبادة التي يحبها الله؛ إذ لا مجال لمعرفتها إلا بمعرفة ما جاءت به الرسل.

وإذا كانت سعادة الإنسان في الدارين معلقة بمعرفة ما تضمنته الكتب التي أنزلها الله علىٰ رسله فيجب علىٰ كل من أراد لنفسه النجاة والفلاح أن يصدق أخبارها، ويعمل بأحكامها التي لم تنسخ، والناس في هذا ما بين مستقل ومستكثر، والله يهدي من يشاء إلىٰ صراط مستقيم.

ودراسة موضوع الإيمان بالكتب من أهم مسائل الاعتقاد؛ وذلك لكونه أحد أصول الإيمان وأركانه، التي لا يتم إيمان العبد إلا بها، ولكون الكتب متعلقة بكلام الله سبحانه، ووحيه، وتنزيله.

وقد ضل في هذا الباب فرق المتكلمين كلهم أولهم وآخرهم، فلم يحققوا الإيمان بالكتب علىٰ الوجه الصحيح الذي جاء بيانه في القرآن الكريم، والسنة الصحيحة، ولبسوا علىٰ بعض الناس، وضللوهم.

فانبرىٰ أئمة السلف للرد عليهم، والتصدي لعدوانهم، فبينوا هذه المسألة غاية البيان، معتمدين في ذلك علىٰ نصوص الوحيين الشريفين، فكانت أقوالهم تأتلف ولا تختلف، وتتفق ولا تفترق.

وفي هذا البحث استعرضت المباحث المتعلقة بالإيمان بالكتب مبينًا مذهب أئمة السلف فيها، المبني علىٰ الكتاب والسنة، والموافق للفطرة التي فطر الله عليها عباده، ومبينا أيضا مذاهب المتكلمين، المبني علىٰ مجرد عقولهم الفاسدة، وآرائهم الكاسدة.

✍ **وقد جاء الكلام عن الإيمان بالكتب في ستة مباحث:**

- **المبحث الأول**: تعريف الكتب.
- **المبحث الثاني**: منزلة الإيمان بالكتب من الإيمان.
- **المبحث الثالث**: كيفية الإيمان بالكتب.
- **المبحث الرابع**: أسماء الكتب، ووقت نزولها.
- **المبحث الخامس**: خصائص القرآن الكريم.
- **المبحث السادس**: تنبيه علىٰ بعض المسائل المتعلقة بالكتب.

هذا والله أسأل أن يجعل عملي خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفع به المسلمين.

❊ ❊ ❊

المبحث الأول
تعريف الكتب

الكتب لغة: جمع كتاب، ومعناه في اللغة يدور علىٰ الجمع والضم.

قال الأزهري: «الكتاب: اسم لما كتب مجموعًا، والكتاب: مصدر، والكتابة لمن تكون له صناعة كالصياغة والخياطة، والكتبة: اكتتابك كتابا تنسخه، والكتيبة: جماعة مستحيزة في حيز علىٰ حدة»(١).

فالكاف والتاء والباء أصل صحيح واحد يدل علىٰ جمع شيء إلىٰ شيء.

ومن ذلك الكتاب، والكتابة. يقال: كتبت الكتاب أكتبه كتبًا(٢).

الكتب شرعًا: هي الكتب التي تضمنت كلام الله الذي أنزله علىٰ رسله.

ويدل علىٰ هذا التعريف: قوله تعالىٰ: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [البقرة: ٧٥].

فقد أخبر الله في هذه الآية أن فريقًا من أهل الكتاب يحرفون كلام الله الذي تضمنته كتبهم التي أنزلها الله علىٰ رسله.

وأيضا قوله تعالىٰ: ﴿وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَـٰبٍ﴾ [الشورىٰ: ١٥].

فأخبر الله في هذه الآية أن الكتب نزلت من عنده سبحانه.

وقوله تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ

(١) تهذيب اللغة (١٠/ ٨٨).

(٢) مقاييس اللغة لابن فارس (٥/ ١٥٧).

عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ [النساء: ١٣٦].

قال الحافظ ابن كثير: «﴿ وَٱلْكِتَٰبِ ﴾ وهو: اسم جنس يشمل الكتب المنزلة من السماء علىٰ الأنبياء، حتىٰ ختمت بأشرفها، وهو: القرآن المهيمن علىٰ ما قبله من الكتب»[١].

❊ ❊ ❊

(١) تفسير القرآن العظيم (١/ ٤٨٦).

المبحث الثاني
منزلة الإيمان بالكتب من الإيمان

الإيمان بالكتب هو الركن الثالث من أركان الإيمان، لا يتم إيمان العبد إلا به، ومن كفر به فقد ضل ضلالًا بعيدًا، ولا يستحق بذلك اسم الإيمان.

قال تعالىٰ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

وقال تعالىٰ: ﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

فقد أخبر الله في هذه الآيات أن الرسول، ومن تحقق فيهم وصف الإيمان، والصدق يؤمنون بالكتب، ورتب سبحانه علىٰ عدم الإيمان بالكتب وغيرها من أركان الإيمان: الكفر، والضلال البعيد فدل ذلك علىٰ أن الإيمان بالكتب ركن من أركان الإيمان.

وقوله: «كتبه» جمع مضاف، والجمع المضاف يفيد العموم، فيدخل في قوله

«كتبه» كل كتاب أنزله الله علىٰ رسله.

قال ابن أبي العز الحنفي: «فجعل الله ﷻ الإيمان هو الإيمان بهذه الجملة، وسمىٰ من آمن بهذه الجملة مؤمنين، كما جعل الكافرين من كفر بهذه الجملة»[(١)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ بارزًا يومًا للناس، فأتاه جبريل فقال: ما الإيمان؟ قال: «**الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه، وبلقائه، ورسله وتؤمن بالبعث**»[(٢)].

فقد بيَّن النبي ﷺ في هذا الحديث أن الإيمان مبني علىٰ هذه الأركان، فإذا انتفىٰ منها ركن رجع علىٰ نفي الإيمان نفسه.

والكفر بأحد هذه الأركان يستلزم الكفر بغيره، فمن كفر بالله كفر بالجميع، ومن كفر بالملائكة كفر بالكتب والرسل، فكان كافرا بالله؛ إذ كذب رسله وكتبه، وكذلك إذا كفر باليوم الآخر كذب الكتب والرسل فكان كافرًا[(٣)].

وأيضًا الإيمان بكتب الله داخل في الإيمان برسالة الله إلىٰ عباده، فإن الله أرسل الرسل إلىٰ الناس لتبلغهم الكتب التي أنزلت عليهم، فمن آمن بالرسل آمن بما بلغوه عن الله، ومن كذب بالرسل كذب بذلك[(٤)].

ثم الذي ينبغي أن يعلم: أن تسمية الإيمان بالكتب ركن: تسمية اصطلاحية لم تأت النصوص من الكتاب والسنة بتسميته هذه الستة أركانًا، وإنما هي من باب الشرح والإيضاح، وهذا لا بأس به، وعليه درج العلماء.

---

(١) شرح الطحاوية: (ص٢٩٧).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه باب سؤال جبريل النبي ﷺ (١/ ١٩) ح ٥٠.

(٣) انظر: مجموع الفتاوىٰ (١٩/ ١٩٣).

(٤) انظر: مجموع الفتاوىٰ (١٢/ ٧).

والركن: داخل في الماهية، وتتوقف وجود الماهية عليه [(١)].

والإيمان بالكتب -الإيمان المجمل- ركن لا يقوم الإيمان ولا يوجد إلا به مع بقية أركان الإيمان.

وأما الإيمان المفصل فلا يدخل في كونه ركنًا، بل قد يكون واجبًا وقد يكون مستحبًّا، لكن إذا علمه الإنسان وبلغه يجب أن يؤمن به، وإلا كان مكذبًا لله ورسوله ﷺ، ويصير بذلك كافرًا.

قال أبو العباس ابن تيمية: «ولا ريب أنه يجب علىٰ كل أحد أن يؤمن بما جاء به الرسول إيمانًا عامًّا مجملًا، ولا ريب أن معرفة ما جاء به الرسول علىٰ التفصيل فرض علىٰ الكفاية، فإن ذلك داخل في تبليغ ما بعث الله به رسوله، وداخل في تدبر القرآن وعقله وفهمه» [(٢)]

ثم إن مما ينبغي أن يعلم: أن ما يجب علىٰ أعيان الناس يختلف بحسب قدرهم، وحاجتهم، ومعرفتهم، فلا يجب علىٰ العاجز ما يجب علىٰ القادر.

ويجب علىٰ من سمع نصوص الكتاب والسنة وفهمها من علم التفصيل ما لا يجب علىٰ من لم يسمعها، وهكذا [(٣)].

* * *

---

(١) انظر: شرح مختصر الروضة للطوفي (٣/ ٢٢٧).
(٢) مجموع الفتاوىٰ (٣/ ٣١٢).
(٣) انظر: درء تعارض العقل والنقل (١/ ٥٢) ونقله صاحب شرح العقيدة الطحاوية (ص٧٠).

المبحث الثالث
كيفية الإيمان بالكتب

الإيمان بالكتب يكون مجملًا ومفصلًا:

أما المجمل: وهو القدر الذي لا يتم إيمان العبد بالكتب إلا به.

وهو: الإيمان بكل ما أنزله الله من الكتب.

قال تعالىٰ: ﴿وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ﴾ [الشورىٰ: ١٥].

وقال تعالىٰ: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ١ - ٤].

وقال تعالىٰ: ﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٩٠﴾ [البقرة: ٩٠].

وقال تعالىٰ: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ۝١٣٦﴾ [البقرة: ١٣٦].

فالله قد أمر بالإيمان بكل كتاب أنزله علىٰ رسله، ويتضح ذلك في قوله: ﴿بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ﴾ فـ«ما» هنا موصولة، وهي من ألفاظ العموم، يعني: بكل كتاب أنزله الله.

كما بين سبحانه في الآيات المتقدمة أن من صفات المتقين أنهم يؤمنون

بالكتب كلها، وذلك أن «ما» في قوله تعالىٰ: ﴿ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ﴾ من ألفاظ العموم، كما توعد سبحانه بالغضب، والعذاب المهين من كفر بالكتب.

ومما يدخل في الإيمان بالكتب: تصديقها فيما أخبرت، وإيجاب طاعتها فيما أوجبت؛ وذلك أن الكتب متضمنة لهذين الأصلين.

قال أبو العباس ابن تيمية: «فإن الكتب تضمنت أصلين: الإخبار، والأمر.

والإيمان بها لا يتم إلا بتصديقها فيما أخبرت، وإيجاب طاعتها فيما أوجبته»[1]

فيجب الإيمان بجميع الكتب التي أنزلها الله من غير تفريق بينها، ولا تبعيض، فمن آمن ببعض الكتب وكفر ببعض فهو كافر.

قال تعالىٰ: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ [البقرة: ١٣٦].

فقد أمر الله بالإيمان بكل كتاب أنزله، من غير تفريق بينها في الإيمان، ويُفهم العموم من قوله تعالىٰ: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ ﴾ الآية؛ فإن «ما» الموصولة من ألفاظ العموم.

كما أن الله قد عاب علىٰ اليهود وأمثالهم الذين أمنوا ببعض الكتب وكفروا ببعض، فقال تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ [البقرة: ٩١].

فدل علىٰ أنه يجب الإيمان بالكتب كلها من غير تفريق بينها.

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٢/ ٤١١).

والتفريق والتبعيض في الإيمان بالكتب يكون في القدْر تارة، ويكون في الوصف أخرىٰ[(١)].

يكون في القدْر: بالإيمان ببعض الكتب والكفر ببعضٍ، كما حصل مع أهل الكتاب ، فاليهود يؤمنون بما أنزل علىٰ موسىٰ ويكفرون بما أنزل علىٰ عيسىٰ عليه السلام وبما أنزل علىٰ نبينا ﷺ، وكذلك النصارىٰ يكفرون بما أنزل علىٰ نبينا ﷺ.

قال ابن جرير الطبري عند تفسيره لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّاۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾﴾ [النساء: ١٥٠ - ١٥١]: «فقال -جل ثناؤه- لعباده، منبهًا لهم علىٰ ضلالتهم وكفرهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا﴾، يقول: أيها الناس، هؤلاء الذين وصفت لكم صفتهم، هم أهل الكفر بي، المستحقون عذابي والخلود في ناري حقًّا. فاستيقنوا ذلك، ولا يشككنَّكم في أمرهم انتحالهم الكذب، ودعواهم أنهم يقرُّون بما زعموا أنهم به مقرُّون من الكتب والرسل، فإنهم في دعواهم ما ادعوا من ذلك كَذَبَةٌ.

وذلك أن المؤمن بالكتب والرسل، هو المصدّق بجميع ما في الكتاب الذي يزعم أنه به مصدق، وبما جاء به الرسول الذي يزعم أنه به مؤمن. فأما من صدّق ببعض ذلك وكذَّب ببعض، فهو لنبوة من كذب ببعض ما جاء به جاحد، ومن جحد نبوة نبي فهو به مكذب.

وهؤلاء الذين جحدوا نبوة بعض الأنبياء، وزعموا أنهم مصدقون ببعض، مكذبون من زعموا أنهم به مؤمنون، لتكذيبهم ببعض ما جاءهم به من عند ربهم،

---

(١) انظر: مجموع الفتاوىٰ (١٢/ ١٣).

فهم بالله وبرسله الذين يزعمون أنهم بهم مصدقون، والذين يزعمون أنهم بهم مكذبون كافرون»[(١)].

وكذلك كثير من الفرق المنتسبة للإسلام يؤمنون ببعض القرآن ويكفرون ببعض، ويُغلِّفون ذلك بدعوىٰ التأويل، والمجاز، والاستحالة العقلية ونحوها.

قال جهم بن صفوان: «وددت أني أحك من المصحف قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ﴾ [يونس: ٣]»[(٢)].

وقال أبو المعالي الجويني: «والظواهر التي هي عرضة التأويلات لا يسوغ الاستدلال بها في القطعيات»[(٣)].

وقال الرازي: «فهذا تقرير البحث عن قولنا: التمسك بالدلائل اللفظية في المطالب اليقينية لا يجوز»[(٤)].

قال الإمام الذهبي: «حتىٰ أفضىٰ هذا الضلال ببعضهم، وهو أحمد بن أبي دؤاد القاضي، إلىٰ أن أشار علىٰ الخليفة المأمون أن يكتب علىٰ ستر الكعبة: ليس كمثله شيء وهو العزيز الحكيم، حرف كلام الله بنفي وصفه -تعالىٰ- بأنه السميع البصير»[(٥)].

وقال ابن القيم: «وهكذا الحكم في كل من فرق الحق فآمن ببعضه وكفر ببعضه، كمن آمن ببعض الكتاب وكفر ببعض، وكمن آمن ببعض الأنبياء وكفر ببعض، لم ينفعه إيمانه بما كفر به حتىٰ يؤمن بالجميع.

---

(١) تفسير الطبري، جامع البيان عن آي القرآن (٩/ ٣٥٣).

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي (١/ ٩٧).

(٣) الشامل في أصول الاعتقاد (ص٢١).

(٤) المطالب العالية (٩/ ٧٣).

(٥) سير أعلام النبلاء للذهبي (١/ ٩٧).

ونظير هذا التفريق من يرد آيات الصفات وأخبارها ويقبل آيات الأوامر والنواهي، فإن ذلك لا ينفعه لأنه آمن ببعض الرسالة وكفر ببعض، فإن كانت الشبهة التي عرضت لمن كفر ببعض الأنبياء غير نافعة له، فالشبهة التي عرضت لمن رد بعض ما جاء به النبي ﷺ أولىٰ أن لا تكون نافعة وإن كانت هذه عذرا له فشبهة من كذب بعض الأنبياء مثلها، وكما أنه لا يكون مؤمنًا حتىٰ يؤمن بجميع الأنبياء، ومن كفر بنبي من الأنبياء فهو كمن كفر بجميعهم.

فكذلك لا يكون مؤمنًا حتىٰ يؤمن بجميع ما جاء به الرسول، فإذا آمن ببعضه فهو كمن كفر به كله»[(١)].

وكذلك يدخل في التفريق والتبعيض من جهة القدر: من ادعىٰ أنه مؤمن بالكتاب ويتحاكم مع ذلك إلىٰ بعض الطواغيت المعظمة من دون الله إعراضًا واستكبارًا، أو شكًّا في حكم الله وصلاحيته.

قال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾﴾ [النساء: ٦٠].

فقد أخبر الله أن دعوىٰ الإيمان بالكتب مع إرادة التحاكم إلىٰ الطاغوت إنما هي زعم لا حقيقة لها؛ إذ كيف يجتمع الإيمان مع التحاكم لغير الله، وقد أمروا أن يكفروا بذلك، فدل ذلك علىٰ أن التحاكم لغير الله مناقض للإيمان بالكتب.

وهذا التحاكم للطواغيت يكون علىٰ سبيل الإعراض والاستكبار كما قال تعالىٰ: ﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَآ

---

(١) بدائع الفوائد (٤/ ١٤٩).

أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ [النور: ٤٧ - ٤٨].

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: «إذا طلبوا إلىٰ اتباع الهدىٰ، فيما أنزل الله علىٰ رسوله، أعرضوا عنه واستكبروا في أنفسهم عن اتباعه»(١).

والطاغوت فعلوت من الطغيان(٢).

قال ابن القيم: «والطاغوت: اسم لكل ما تعدىٰ حده، وتجاوز طوره.

ومعلوم أن هذا الذي يتحاكم إليه أهل الزيغ حده أن يكون محكوما عليه لا حاكما.

ثم أخبر تعالىٰ عن حال هؤلاء المتحاكمين إلىٰ غير ما جاء به رسوله ﷺ فقال: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ ﴾ [النساء: ٦١].

فجعل الإعراض عما جاء به الرسول والالتفات إلىٰ غيره هو حقيقة النفاق كما أن حقيقة الإيمان هو تحكيمه وارتفاع الحرج عن الصدود بحكمه والتسليم لما حكم به رضىٰ واختيارًا ومحبة، فهذا حقيقة الإيمان، وذلك الإعراض حقيقة النفاق.

ثم أخبر سبحانه عن عقوبة المعرضين عن التحاكم إليه الراضين بحكم الغير من خلقه في قوله: ﴿ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴾ [النساء: ٦٢].

فأخبر أن هذا الإعراض عن التحاكم إليه سبب لأن تصيبهم مصيبة بما

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٦/ ٧٤).

(٢) انظر: لسان العرب لابن منظور (١٥/ ٩).

قدمت أيديهم كما قال في الآية الأخرىٰ ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور: ٦٣].

وقال في المتولين عن حكمه: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾ [المائدة: ٤٩]»[(١)].

والمطاع في اتباع غير الهدىٰ ودين الحق -سواء كان مقبولًا خبره المخالف لكتاب الله أو مطاعًا أمره المخالف لأمر الله- هو طاغوت؛ ولهذا سمي من تحوكم إليه الحاكم بغير كتاب الله طاغوت[(٢)].

والله سبحانه قد أمر بالكفر بالطاغوت؛ فقال تعالىٰ: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي: «ومفهوم الشرط أن من لم يكفر بالطاغوت لم يستمسك بالعروة الوثقىٰ، وهو كذلك، ومن لم يستمسك بالعروة الوثقىٰ فهو بمعزل عن الإيمان ؛ لأن الإيمان بالله هو العروة الوثقىٰ، والإيمان بالطاغوت يستحيل اجتماعه مع الإيمان بالله ؛ لأن الكفر بالطاغوت شرط في الإيمان بالله أو ركن منه»[(٣)].

ثم إن من المعلوم أن الله قد أمر المسلمين كلهم إذا تنازعوا في شيء أن يردوه إلىٰ الله والرسول، فقال تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ [النساء: ٥٩].

---

(١) مختصر الصواعق للموصلي (٤/ ١٤٤٩-١٤٥٠).
(٢) انظر: مجموع الفتاوىٰ (٢٨/ ٢٠١).
(٣) أضواء البيان (١/ ٢٤٥).

وقال تعالىٰ: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء: ٦٥].

فمن لم يلتزم تحكيم الله ورسوله فيما شجر بينهم فقد أقسم الله بنفسه أنه لا يؤمن.

وأما من كان ملتزما لحكم الله ورسوله باطنا وظاهرا، لكن عصىٰ واتبع هواه، فهذا بمنزلة أمثاله من العصاة [(١)].

ومن التحاكم لغير الله: معارضة ما جاءَ عن الله ورسوله ﷺ بعقول الرجال وآرائهم، ثم تقديمها علىٰ نصوص الكتاب والسنة.

كما عليه أهل الكلام، فنصوص الوحيين عندهم هي ألفاظ ظنية، لا يحتج بها في المسائل العقدية اليقينية إلا إذا سلمت من المعارض العقلي، أما لو تعارض العقل مع نصوص الكتاب والسنة فإنه يجب أن يقدم العقل.

قال الرازي: «الدليل اللفظي لا يفيد اليقين إلا عند تيقن أمور عشرة: عصمة رواة مفردات تلك الألفاظ، وصحة إعرابها، وتصريفها، وعدم الاشتراك والمجاز، والتخصيص بالأشخاص والأزمنة، وعدم الإضمار، والتقديم والتأخير، وعدم المعارض العقلي الذي لو كان لرجح؛ إذ ترجيح النقل علىٰ العقل يقتضي القدح في العقل المستلزم للقدح في النقل لافتقاره إليه»[(٢)]

وقال: «فهذا تقرير البحث عن قولنا: التمسك بالدلائل اللفظية في المطالب اليقينية لا يجوز»[(٣)].

---

(١) انظر: منهاج السنة النبوية (٥/ ١٣٠-١٣١).

(٢) محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين (ص١٤٣).

(٣) المطالب العالية (٩/ ٧٣).

وقال الآمدي: «وربما استروح بعض الأصحاب في إثبات السمع والبصر لله تعالىٰ إلىٰ ظواهر واردة في الكتاب والسنة، منها ما يدل علىٰ كونه سميعًا بصيرًا كقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٨١]، ومنها ما يدل علىٰ نفس السمع والبصر كقوله تعالىٰ ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [طه: ٤٦] علىٰ غير ذلك من الظواهر، وهي غير مفيدة لليقين، ولا خروج لها عن الظن والتخمين.

والتمسك بما هذا شأنه في إثبات الصفات النفسية وما يطلب فيه اليقين ممتنع»[(١)].

وقال: «ولعل الخصم قد يتمسك هاهنا بظواهر من الكتاب والسنة وأقوال بعض الأئمة، وهي بأسرها ظنية، ولا يسوغ استعمالها في المسائل القطعية، فلهذا آثرنا الإعراض عنها، ولم نشغل الزمان بإيرادها»[(٢)].

وكذلك يدخل في التفريق والتبعيض من جهة القدر: اعتقاد أن ما بين دفتي المصحف من القرآن يمكن أن يزاد فيه أو ينقص منه، ومن ادعىٰ هذه الدعوىٰ الباطلة فهو كافر؛ لأنه مكذب لله في خبره؛ قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٌ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت: ٤١ - ٤٢].

فإن الله قد حفظ كتابه، وبين أنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

قال البيهقي: «فمن أجاز أن يتمكن أحد من زيادة شيء في القرآن أو نقصانه منه أو تحريفه فقد كذب الله في خبره، وأجاز الخلف فيه؛ وذلك كفر.

---

(١) أبكار الأفكار (١/ ٤١٠).

(٢) غاية المرام في علم الكلام (ص٢٠٤).

وأيضًا فإن ذلك لو كان ممكنًا لم يكن أحد من المسلمين علىٰ ثقة من دينه ويقين مما هو متمسك به»[١].

وقال أبو عبد الله القرطبي: «فمن ادعىٰ زيادة عليه، أو نقصانًا منه، فقد أبطل الإجماع، وبهت الناس، ورد ما جاء به الرسول ﷺ من القرآن المنزل عليه، ورد قوله تعالىٰ: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [الإسراء: ٨٨].

وأبطل آية رسوله ﷺ؛ لأنه إذ ذاك يصير القرآن مقدورًا عليه حين شيب بالباطل، ولمَّا قُدر عليه لم يكن حجة ولا آية، وخرج عن أن يكون معجزًا»[٢].

فظهر مما تقدم: أن التفريق والتبعيض في القدر يكون بأمور:

١- الإيمان ببعض الكتب والكفر بالبعض الآخر، كمن يؤمن بالتوراة ويكفر بالإنجيل والقرآن.

٢- الإيمان ببعض الكتاب والكفر بالبعض الآخر، كمن يؤمن ببعض آيات القرآن ويكفر ببعضها.

٣- أن يدعي الإيمان بالكتب ويتحاكم مع ذلك إلىٰ غيرها إعراضا واستكبارا.

٤- اعتقاد أن ما بين دفتي المصحف من القرآن يمكن أن يزاد فيه أو ينقص منه.

وأما التفريق والتبعيض من جهة الوصف، فهو كمن يعتقد أن ما أنزل الله من الكتب ليس بكلام الله علىٰ الحقيقة، وأنه ليس منزلا من عند الله، ويدخل في هذا

---

(١) الجامع لشعب الإيمان للبيهقي (١/ ٣٣٩).

(٢) تفسير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (١/ ١٢٧).

أصناف المتكلمين من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة ومن وافقهم، فقد اتفقت هذه الفرق أن الكتب ليست من كلام الله علىٰ الحقيقة، وإنما هي مخلوقة.

فأما الجهمية والمعتزلة فيعتقدون أن الكتب التي أنزلها الله كلها مخلوقة.

قال القاضي عبدُ الجبار المعتزلي: «والذي يَذهبُ إليه شيوخُنا: أن كلامَ الله لا من جِنس الكلامِ المعقولِ في الشاهد، وهو حروفٌ منظومةٌ، وأصواتٌ مقطعةٌ، وهو عرضٌ يخلقه اللهُ في الأجسام علىٰ وجه يُسمع، ويُفهم معناه»(١).

وقال: «وأما مذهبُنا في ذلك: فهو أنَّ القرآنَ كلام الله تعالىٰ ووحيه، وهو مخلوقٌ محدثٌ، أنزله الله علىٰ نبيه ليكون دالًّا وعَلَمًا علىٰ نبوَّتِه، وجعله دلالةً علىٰ الأحكام لنرجعَ إليه في الحلال والحرام، واستوجب منا بذلك الحمدَ والشكرَ والتحميدَ والتقديسَ، وإذن هو الذي نسمعُه اليومَ ونتلوه»(٢).

وأما الأشاعرة فيزعمون أن الكتب التي أنزلها الله ألفاظها مخلوقة، فهي عبارة عن كلام الله.

قال أبو المعالي الجويني: «فإن معنىٰ قولهم: «هذه العبارات كلام الله» أنها خلقه، ونحن لا ننكر أنها خلق الله، ولكن نمتنع من تسمية خالق الكلام متكلما به، فقد أطبقنا علىٰ المعنىٰ، وتنازعنا بعد الاتفاق في تسميته»(٣)

وقال الرازي: «وأما الجواب عما احتجوا به ثالثًا من أن الأمة مجمعة علىٰ أن السور كلام الله.

فنقول: إنما يصح إطلاق القول بأنها كلام الله من حيث إنها دلالات عليه»(٤)

---

(١) المغني في أبواب التوحيد والعدل (٧/ ٣).

(٢)شرح الأصول الخمسة (ص٥٢٨).

(٣) الإرشاد إلىٰ قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد (ص١١٦-١١٧).

(٤) الإشارة في علم الكلام للرازي (ص٢١٦).

وقال البيجوري - وهو من أئمة الأشاعرة - في بيان عقيدة الأشاعرة في الكلام: «واعلم أن كلامَ الله يُطلق علىٰ الكلامِ النفسيِّ القديم، بمعنىٰ أنه صفةٌ قائمةٌ بذاته، وعلىٰ الكلام اللفظي بمعنىٰ أنه خلقَه،... وإطلاقه عليهما - أي: اللفظ والمعنىٰ - قيل بالاشتراك، وقيل حقيقيٌّ في النفسي مجازٌ في اللفظي، وعلىٰ كل من أنكر أن ما بين دفتي المصحف كلام الله فقد كفر، إلا أن يريد أنه ليس هو الصفةَ القائمةَ بذاته تعالىٰ، ومع كون اللفظ الذي نقرؤه حادثا لا يجوز أن يقال: القرآن حادثٌ إلا في مقام التعليم»(١).

فالقرآن عندهم: لم يتكلم اللهُ به، وإنما هو كلامُ المبلِّغ وهو إما جبريل أو غيرُه عبَّر به عن المعنىٰ القائمِ بذات الله (٢).

يقولون: إن الله ألهم جبريلَ معانيَه، فعبَّر عنها جبريل بعبارته، فهذه الألفاظُ كلامُ جبريلَ في الحقيقةِ لا كلام الله.

ومنهم من يقول: جبريلُ علَّم رسولَ الله ﷺ معانيَه وألقاها في روعه، ومحمدٌ ﷺ أنشأ ألفاظَها وعبَّر بها من عنده دلالةً علىٰ ذلك المعنىٰ الذي ألقاه إليه ذلك الملك(٣).

وقد اعترف أئمة الأشاعرة بأنهم يقولون بقول المعتزلة في كون الكتب المنزلة من عند الله مخلوقة، ومنها القرآن.

قال الإمام المطلق عندهم الرازي: «فنثبت بما ذكرنا أن كونه تعالىٰ متكلمًا

---

(١) تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد (٨٤).

(٢) انظر: الإرشاد للجويني (ص١٣٠-١٣٤) وتحفة المريد شرح جوهرة التوحيد للبيجوري (ص١٠٨) ومجموع الفتاوىٰ (٢/ ٤٩-٥٠) و (١٢/ ٥٨٣) ومختصر الصواعق للموصلي (٤/ ١٣٣٩-١٣٤٠).

(٣)- انظر: مختصر الصواعق للموصلي (٤/ ١٣٢٧-١٣٢٨).

بالمعنىٰ الذي يقوله المعتزلة مما نقول به، ونعترف به، ولا ننكره بوجه من الوجوه»(١).

كما اختلفت الأشاعرةُ في المُنْزَل من عند الله، فمنهم من قال: اللفظُ والمعنىٰ، فإن الله خلقَ القرآن أولا في اللوحِ المحفوظِ ثم أنـزلَه، وقيل: المنـزل المعنىٰ، وعبَّر به جبريلُ بألفاظٍ من عِنده، وقيل: المعنىٰ، وعبَّر به محمدٌ ﷺ بألفاظٍ من عِنده(٢).

قال الجويني في بيان معنىٰ كون القرآن منـزلًا عندهم: «كلامُ الله تعالىٰ مُنزَّلٌ علىٰ الأنبياء، وقد دلَّ علىٰ ذلك آيٌ كثيرةٌ من كتاب الله تعالىٰ.

ثم ليس المعنيّ بالإنزال حط شيءٍ من علوٍّ إلىٰ سُفل، فإن الإنزال بمعنىٰ الانتقال يتخصص بالأجسام والأجرام.

ومن اعتقد قِدم كلامِ الله تعالىٰ، وقيامه بنفس الباري سبحانه وتعالىٰ، واستحالة مزايلته للموصوف به، فلا يستريب في إحالةِ الانتقالِ عليه.

ومن اعتقد حدث الكلام، وصار إلىٰ أنه عرضٌ من الأعراض، فلا يسوغ علىٰ معتقده أيضا تقدير الانتقال؛ إذ العرض لا يزولُ ولا ينتقلُ.

فالمعنيُّ بالإنزال، أنَّ جبريلَ صلوات الله عليه أدرَكَ كلامَ الله تعالىٰ، وهو في مقامِهِ فوق سبع سموات، ثم نزَلَ إلىٰ الأرض، فأفهَمَ الرسولَ ﷺ ما فهِمَهُ عند سدرَةِ المنتهىٰ من غيرِ نقلٍ لذاتِ الكلامِ»(٣).

فالإيمان بالكتب عند أهل الكلام حقيقته: التعطيل والنفي، وإذا انتفتْ عن الله صفةُ الكلامِ انتَفَىٰ الأمر والنهي ولوازمهما؛ وذلك يَنفي حقيقةَ الإلهية؛ لأن

---

(١) الأربعين في أصول الدين للرازي (١/ ٢٤٨).

(٢) انظر: تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد للبيجوري (ص ١٠٨).

(٣) الإرشاد (ص١٣٥).

عبادة الله مبنية علىٰ الأمر والنهي، ومدار الأمر والنهي علىٰ الوحي.

وأما أئمة السلف فهم يثبتون أن الكتب كلام الله علىٰ الحقيقة، منزلة من عنده سبحانه:

قال الصحابي الجليل ابن مسعود رضي الله عنه - عند الآية: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾ [سبأ: ٢٣] -: «إذا تكلَّم اللهُ بالوحي سَمِعَ أهلُ السموات شيئًا، فإذا فُزِّع عن قلوبهم وسكن الصوت عرفوا أنه الحقُّ من ربهم، ونادوا ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحقَّ»[(١)].

فقد تضمَّن أثرُ ابن مسعود رضي الله عنه أن كلامَ الله غيرُ مخلوق؛ وذلك أن الملائكةَ يقولون بعد أن ينجلي الفزعُ عن قلوبِهِم ماذا قال ربكم، ولم يقولوا: ماذا خَلَقَ ربُّكُم، وَمِن كلامِ اللهِ القرآنُ.

وقال الصحابي الجليل ابن عباس رضي الله عنهما: «أنزَلَ اللهُ القرآنَ إلىٰ السَّماء الدنيا في ليلة القدر، فكان الله إذا أراد أن يُوحِيَ منه شيئًا أوحاه»[(٢)].

فقد بيَّن ابن عباس رضي الله عنهما أن القرآنَ مُنزَّلٌ من عند الله، وأن الله هو الذي تكلَّم

---

(١) أخرجه البخاري تعليقًا بصيغة الجزم في كتاب التوحيد باب قول الله تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾ (ص١٢٨٩) ووصله عبد الله في السنة (١/ ٢٨١) رقم٥٣٧ قال: حدثني أبي نا عبد الرحمن بن محمد المحاربي عن الأعمش عن مسلم عن مسروق عن عبد الله به. وقد ساق طرقَ هذا الأثر بتوسعٍ الحافظُ ابن حجر في فتح الباري (١٣/ ٥٦٤-٥٦٥)، وهذا الأثرُ قد جاء مرفوعًا، قال الألبانيُّ في الصحيحة (٣/ ٢٨٣): «الموقوف وإن كان أصحَّ من المرفوع ، ولذلك علَّقه البخاري في «صحيحه»، فإنه لا يُعِلُّ المرفوعَ؛ لأنه لا يقال من قِبَل الرأي، كما هو ظاهر».

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢/ ١٩٢) عن المثنىٰ عن عبد الوهاب عن داود عن عكرمة عن ابن عباس به. وأخرجه النسائي في السنن الكبرىٰ بمعناه (٧/ ٢٤٧) عن قتيبة عن ابن أبي عدي عن داود به. وداود هو: ابن أبي هند وهو ثقة متقن كما في التقريب (ص٢٤٠) والأثر صحيح.

به، فإذا أراد أن يُوحِيَ منه شيئًا أوحاه.

وقال أبو بكر بن عياش: «القرآنُ كلامُ الله ألقاه إلىٰ جبرائيلَ، وألقاه جبرائيلُ إلىٰ محمد ﷺ، منه بدأ وإليه يعود»(١).

وقال الإمام وكيع: «القرآنُ كلامُ الله وهو منه جلَّ وتعالىٰ»(٢).

وينكرون علىٰ من قال بخلق القرآن:

عن ابن عيينة قال سمعت عمرو بن دينار(٣) يقول: «أدركتُ الناسَ منذ سبعين سنة، أدركتُ أصحاب النبي ﷺ ومن دونهم يقولون: اللهُ خالقٌ وما سواه مخلوقٌ إلا القرآن فإنَّه كلامُ الله منه خرَج وإليه يعودُ»(٤).

فقد صرَّح الإمام عمرو بن دينار أن الله خالقٌ وما سواه مخلوقٌ إلا القرآنَ فإنَّه كلامُ الله منه خرج وإليه يعود، بل حكىٰ إجماعَ الصحابة فمن دونهم علىٰ ذلك.

وقال الإمام سفيان الثوري: «القرآنُ كلامُ الله غيرُ مخلوق، منه بدأ، وإليه يعود، مَن قالَ غيرَ هذا فهوَ كافرٌ»(٥).

---

(١) ذكره الذهبي في العلو للعلي العظيم (٢/ ١٠٢٥) من طريق أبي حاتم الرازي عن علي بن صالح الأنماطي به. وعلي الأنماطي قال عنه ابن حبان كما في الثقات (٨/ ٤٧٠): «مستقيم الحديث» فيكون سند الأثر صحيحًا.

(٢) أخرجه عبد الله في السنة (١/ ١٥٨) عن أحمد الدورقي عن يحيىٰ بن معين به. وسنده صحيح.

(٣) هو: عمرو بن دينار المكي أبو محمد الأثرم. قال ابن عيينة: «كان عمرو بن دينار أعلمَ أهل مكة». توفي: ١٢٦هـ انظر: تهذيب الكمال للمزي (٥/ ٤١٠-٤١١).

(٤) أخرجه الخلال في السنة (٦/ ٢٦) من طريق حرب الكرماني عن إسحاق بن إبراهيم الحنظلي به. وأخرجه الدارمي في الرد علىٰ الجهمية (ص١٨٩) وفي نقض عثمان علىٰ بشر المريسي (ص٣٣١) عن إسحاق بن إبراهيم الحنظلي يقول: قال سفيان بن عيينة: قال عمرو بن دينار: «أدركت أصحاب النبي ﷺ فمن دونهم منذ سبعين...» والأثر صحيح.

(٥) ذكره اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/ ١٧٠).

وقال أبو نعيم الفضل بن دكين[(١)]: «أدركتُ الناسَ ما يتكلَّمُون في هذا، ولا عرفْنا هذا إلا من بعد سنين، القرآنُ كلامُ اللهِ مُنزَّلٌ من عند الله، لا يؤولُ إلىٰ خالقٍ ولا مخلوق منه بدأ وإليه يعودُ، هذا الذي لم نزلْ عليه ولا نعرفُ غيرَه»[(٢)].

فقد بين الإمام أبو نعيم أنَّ القولَ بأنَّ القرآنَ مخلوقٌ قولٌ حادثٌ لا يُعرَف عن السَّلَفِ مِنَ الصحابَةِ فَمَن بعدَهُم، وإنما المعروفُ أنَّ الْقُرآن كَلامُ اللهِ مُنَزَّلٌ غيرُ مخلوقٍ مِنه بدَأَ وإليه يَعودُ.

وعن أحمد بن الحسن الترمذي[(٣)] قال: «قلتُ لأحمد بن حنبل: إنَّ الناسَ قد وقعوا في أمرِ القرآن فكيف أقول؟ قال: أليس أنت مخلوق؟ قلت: نعم.

قال: فكلامك منك مخلوق؟

قلت: نعم، قال: أوليس القرآنُ من كلام الله؟ قلت: نعم.

قال: وكلامُ الله. قلت: نعم.

قال: فيكون من الله شيء مخلوق؟!»[(٤)].

وقال الإمام أحمد: «وَقَد رُوِيَ عَن غَيرِ وَاحِدٍ ممن مَضَىٰ مِن سَلَفِنَا رحمهم الله أَنَّهُم كانوا يَقُولُونَ: القُرآنُ كَلامُ اللهِ ﷻ وَلَيسَ بمخلُوقٍ، وَهو الذي أذهَبُ إليه»[(٥)].

---

(١) هو: الفضل بن دكين أبو نعيم. قال يعقوب الفسوي: «أجمعَ أصحابنُا أن أبا نعيم كان غايةً في الإتقان» ولد: ١٣٠هـ توفي: ٢١٨هـ انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (١٠/ ١٤٢-١٥٧).

(٢) أخرجه ابن بطة في الإبانة (٢/ ٣٦) من طريق حنبل به وسند ابن بطة صحيح.

(٣) هو: أحمد بن الحسن بن جنيدب الترمذي أبو الحسن. قال ابن خزيمة: «كان أحدَ أوعية الحديث» توفي: قبل سنة ٢٥٠هـ انظر: تهذيب التهذيب لابن حجر (١/ ٢٠).

(٤) أخرجه ابن بطة في الإبانة (٢/ ٣٥) واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٢/ ٢٩١) من طريق أحمد الترمذي عنه.

(٥) أخرجه عبد الله في السنة (١/ ١٣٩) عن أبيه به.

فالإمام أحمدُ – وهو إمامُ أهل السنة والجماعة – يُشير إلىٰ نكتةٍ بديعةٍ وهي: أنَّ القرآنَ صفةٌ للمتكلِّم به، فإذا كان المتكلِّمُ به مخلوقًا كانت صفاتُه مخلوقةً، ومنها الكلام، وإذا كان المتكلِّمُ به الله كانت صفاتُه غيرَ مخلوقة، ومنها الكلام، فإنَّه لا يكونُ مِنَ اللهِ شيءٌ مخلوقٌ، فالقرآنُ كلامُ اللهِ غيرُ مخلوقٍ منه بَدَأَ.

كما ذَكَرَ أنَّ الذي مَضَىٰ عليه السلَفُ أنَّ القرآنَ كلامُ اللهِ غيرُ مخلوقٍ.

وقال الإمام البخاري: «باب قول الله تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾[1] ولم يقل: ماذا خلَق ربُّكم»[2].

وقال الإمام الطبري: «فأولُ ما نبدأُ بالقولِ فيه من ذلك عندنا: القرآنُ كلامُ الله، وتنزيلُه، إذ كان من معاني توحيده، فالصَّوابُ مِنَ القولِ في ذلك عندنا: أنه كلامُ الله غيرُ مخلوق»[3].

وقال أبو جعفر الطحاوي[4]: «...وأنَّ القرآنَ كلامُ الله، منه بدأ بلا كيفيةٍ قولا، وأنزَلَهُ علىٰ رسولِهِ ﷺ وحيًا، وصدَّقه المؤمنون علىٰ ذلك حقًّا، وَأَيقَنُوا أنه كَلامُ الله تعالىٰ بالحقيقة، ليس بمخلوقٍ كَكَلامِ البريَّةِ، فَمَن سمعَهُ فَزَعَمَ أنه كلامُ البشر فَقَد كَفَرَ، وقد ذمَّه اللهُ وَعَابَهُ وأوعدَه بسقر، حيث قال تعالىٰ: ﴿سَأُصۡلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾﴾[5] فلما أوعدَ الله بسقر لمن قال: ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا قَوۡلُ ٱلۡبَشَرِ ﴿٢٥﴾﴾[6] عِلِمْنا

---

(١) سورة سبأ آية: ٢٣.

(٢) صحيح البخاري (ص١٢٨٩).

(٣) صريح السنة (ص٢٣).

(٤) هو: أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي أبو جعفر. قال أبو إسحاق الشيرازي: «انتهت إلىٰ أبي جعفر رئاسة أصحاب أبي حنيفة بمصر» ولد: ٢٣٧هـ توفي: ٣٢١هـ انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي (٣/ ٨٠٨-٨١١).

(٥) سورة المدثر آية: ٢٦.

(٦) سورة المدثر آية: ٢٥.

وأيقنَّا أنه قولُ خالق البشر، ولا يُشبه قولَ البشر»[١].

وقال ابن أبي زَمَنين: «ومن قولِ أهل السنة: إنَّ القرآنَ كلامُ الله وتنزيلُه، ليس بخالقٍ ولا مخلوقٍ، منه تبارك وتعالىٰ بدأ وإليه يعود»[٢].

ذكر الإمامُ ابن أبي زمنين: أنَّ القولَ بأنَّ القرآن كلامُ الله وتنزيلُه منه بدأ وإليه يعود هو قولُ أهلِ السنة، وهذا إشارةٌ منه لإجماعهم.

بل الأمرُ كما قال الإمامُ اللالكائيُّ بعد أنْ سَاقَ أقوالَ الأئمةِ في كونِ كلامِ اللهِ غيرَ مخلوقٍ: « فهؤلاء خمسمائة وخمسون نفسًا أو أكثر، من التابعين، وأتباعِ التابعين، والأئمَّةِ المرضيين، سوىٰ الصحابة الخيرين، علىٰ اختلافِ الأعصَارِ، وَمُضِيِّ السنين والأعوامِ.

وفيهم نحو من مائة إمامٍ ممن أَخَذَ الناسُ بقولهم، وَتَدَيَّنُوا بمذاهبِهِم، ولو اشتَغَلتُ بنقلِ قولِ المحدِّثين لَبَلَغَتْ أسماؤُهُم ألوفا كثيرة»[٣].

ومما يدخل في التفريق والتبعيض في الوصف: اعتقاد بعض أهل الكلام أن معاني الكتب المنزلة واحد، بل إن مدلول التوراة هو مدلول الإنجيل، ومدلول الإنجيل هو مدلول القرآن.

ومدلول الأمر هو مدلول النهي، ومدلول النهي هو مدلول الخبر.

قال أبو المعالي الجويني: «فإن الكلام عند أهل الحق معنىٰ قائم بالنفس ليس بحرفٍ ولا صوتٍ، والكلامُ الأزليُّ يتعلق بجميع متعلقات الكلام علىٰ اتحاده، وهو أمرٌ بالمأمورات، نهيٌ عن المنهيات، خبرٌ عن المخبرات، ثم يتعلق

---

(١) العقيدة الطحاوية (ص٢٤).

(٢) أصول السنة (ص٨٢).

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٢/ ٣٤٤).

بالمتعلقات المتجددات، ولا يتجدد في نفسه»(١).

وقال البيجوري في بيان عقيدة الأشاعرة في الكلام: «كلامُه تعالىٰ صفةٌ واحدةٌ لا تَعدُّد فيها، لكن لها أقسامٌ اعتباريةٌ، فمِن حيث تعلُّقه بطلب فعل الصلاة مثلا: أمر، ومن حيث تعلُّقه بطلب ترك الزنا مثلا: نهي، ومن حيث تعلقُه بأن فرعون فعل كذا مثلًا: خبر»(٢).

وهذا الكلام منهم مبني علىٰ إثبات المعنىٰ النفسي الذي أثبتوه.

وهم في الحقيقة لم يثبتوا ما هو الكلام النفسي؟ ولم يتصوَّروه، وإثباتُ الشيء فرعٌ عن تصوره، فمن لم يتصَوَّرْ ما يُثبتُهُ كيف يجوزُ أن يُثبتَه؟

ولهذا كان أبو سعيد بن كلاب - رأس هذه الطائفة وإمامها في هذه المسألة - لا يذكر في بيانها شيئا يُعقل، بل يقول: هو معنىٰ يناقض السكوت والخرس.

والسكوت والخرس إنما يُتصَوران إذا تُصوِّرَ الكلام، فالساكت هو: الساكت عن الكلام، والأخرس هو العاجِز عنه، أو الذي حصلت له آفةٌ في محلِّ النطقِ تمنَعُهُ عن الكلامِ.

فتبين أنهم لم يَتصوروا ما قالوه ولم يُثبتوه، بل هم في الكلام يشبهون النصارىٰ في الكلمة، فإنهم يقولون ما لا يتصورونه ولا يُبيِّنونه، والرسل عليهم السلام إذا أَخبَرُوا بشيءٍ ولم نَتَصَوَّرْه وجبَ تصديقُهُم.

وأمَّا ما يُثبَتُ بالعقل فلابد أن يتصوره القائل به وإلا كان قد تكلم بلا علم، فالنصارىٰ تَتَكَلَّمُ بلا علمٍ، فكانَ كلامُهم مُتَنَاقِضا ولم يحصل لهم قول معقول، كذلك مَن تَكَلَّمَ في كلام الله بلا علم كان كلامه متناقضًا ولم يحصل له قول يُعقَلُ(٣).

---

(١) الإرشاد (ص١٢٧).

(٢) تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد (٨٤).

(٣) انظر: مجموع الفتاوىٰ (٦/ ٢٩٦).

فزعمهم أن المعنىٰ القائم بالذات واحد، وهو عندهم مدلول التوراة، والإنجيل، والقرآن، ومدلول آية الكرسي، والدين، ومدلول سورة الإخلاص، وسورة الكوثر.

فهذا: فساده مَعلُوم بالاضطرار.

ثم يقال له: التصديق فرع التصور، ونحن لا نتصَوَّرُ هذا، فبيِّنْ لنا معناه، ثم تكلَّمْ علىٰ إثباته.

فإن قال: هو نظير المعاني الموجودة فينا.

كان هذا الكلام - بعد النزول عما يحتمله من التشبيه والتمثيل - باطلا؛ لأن الذي فينا معانٍ متعددة متنوعة، وأما معنىٰ واحد هو أمرٌ بكل مأمورٍ به، وخبرٌ عن كلِّ مخبرٍ عنه، فهذا غير مُتَصَوَّرٍ.

الثاني: أن يقال: هب أنه متصوَّر. فما الدليل علىٰ ثبوته؟ وما الدليل علىٰ قِدمه؟[1].

وأما أئمة السلف فيثبتون أن مسمىٰ الكلام هو اللفظ والمعنىٰ جميعا، وأن الكلام ليس هو المعنىٰ القائم بالنفس، فلا يكون مدلول الأمر هو مدلول النهي، ولا مدلول التوراة هو مدلول القرآن:

قال الصحابي الجليل ابن مسعود رضي الله عنه - عند آية ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ٢٣﴾-: «إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السموات شيئا، فإذا فُزِّعَ عن قلوبهم وسكن الصوت عَرفوا أنه الحق من ربهم، ونادوا ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحقَّ»[2].

---

(١) انظر: مجموع الفتاوىٰ (١٢/ ١٩٤-١٩٥).

(٢) تقدم تخريجه.

بيَّن ابن مسعود رضي الله عنه أن كلام الله يُسمع، فدل علىٰ أنه بلفظٍ، ووصفه بأنه حقّ، فدل علىٰ أنَّ له معنىٰ، فمُسمىٰ الكلام هو اللفظُ والمعنىٰ جميعًا.

وقال الإمام السجزي: «فالإجماع منعقد بين العقلاء علىٰ كون الكلام حرفًا وصوتًا، فلما نبغ ابن كلاب وأضرابه، وحاولوا الردَّ علىٰ المعتزلة من طريق مُجرَّد العقل، وهم لا يخبرون أصولَ السنة، ولا ما كان السَّلفُ عليه ، ولا يَحتجُّون بالأخبار الواردة في ذلك زعمًا منهم أنها أخبار آحاد، وهي لا توجب علمًا، وألزمتْهُم المعتزلةُ أن الاتفاق حاصلٌ علىٰ أن الكلام حرفٌ وصوتٌ، ويَدخلُه التعاقب والتأليف، وذلك لا يوجد في الشاهد إلا بحركة وسكون، ولابد له من أن يكون ذا أجزاءٍ وأبعاضٍ، وما كان بهذه المثابة لا يجوز أن يكون من صفات ذات الله؛ لأن ذات الله سبحانه لا توصَفُ بالاجتماع والافتراق، والكلِّ والبعض، والحركة والسكون، وحكم الصفة الذاتية حكم الذات.

قالوا: فعُلِم بهذه الجملة أن الكلام المضافَ إلىٰ الله سبحانه خلْقٌ له أحدثه وأضافه إلىٰ نفسه كما تقول: عبد الله، وخلق الله، وفعل الله. فضاقَ بابنِ كلاب وأضرابِه النفسَ عند هذا الإلزام لقلةِ معرفتهم بالسُّنَنِ، وتركِهم قبولها، وتسليمِهم العنانَ إلىٰ مجرَّدِ العقل، فالتزَمُوا ما قالتْه المعتزلةُ، وركبوا مكابرة العيان، وخرَقوا الإجماعَ المنعقدَ بين الكافة المسلم والكافر. وقالوا للمعتزلة: الذي ذكرتموه ليس بحقيقة الكلام، وإنما يُسَمَّىٰ ذلك كلامًا علىٰ المجاز لكونه حكايةً أو عبارةً عنه، وحقيقةُ الكلام: معنىٰ قائمٌ بذات المتكلِّم»[1].

فقد بيَّن الإمام السجزي أن أوَّلَ مَن حصرَ مُسمَّىٰ الكلامِ في المعنىٰ فقط هو ابن كلاب، كما بيَّن أن الإجماعَ مُنعقدٌ علىٰ أنَّ الكلام هو اللفظ والمعنىٰ جميعا،

---

(١) الرد علىٰ من أنكر الحرف والصوت (ص١١٨-١١٩).

حتىٰ ظهر ابنُ كلاب فزعَمَ أنَّ حقيقة الكلام: هو معنىٰ قائمٌ بذات المتكلم، لما حاول أن يَرُدَّ علىٰ المعتزلة عن طريق مُجرَّدِ العقل من غير معرفة بالسنة، ولا أقوال أئمة السلف.

وقال الإمام أبو المظفر السمعاني: «ذهب أبو الحسن الأشعري ومن تبعه إلىٰ أنه لا صيغةَ للأمر والنهي. وقالوا: لفظ «افعل» لا يُفيد بنفسه شيئًا إلا بقرينةٍ تَنضمُّ إليه، ودليلٍ يتصل به.

وعندي: أن هذا قولٌ لم يسبقْهم إليه أحدٌ من العلماء،... وإذا قالوا: إنَّ حقيقةَ الكلام معنىٰ قائمٌ في نفسِ المتكلِّم، والأمرُ والنهيُ كلامٌ، فيكون قوله «افعل» و«لا تفعل» عبارةً عن الأمر والنهي، ولا يكون حقيقة الأمر والنهي. وهذا أيضًا لا يَعرفه الفقهاء، وإنما يعرفون قولَه «افعل» حقيقةً في الأمر، وقولَه «لا تفعل» حقيقةً في النهي»[1].

فقد بيَّن الإمام أبو المظفر ما بيَّنه الإمام السجزي من أن حقيقة الكلام هو اللفظ والمعنىٰ جميعًا؛ وذلك عند ردِّه علىٰ الأشاعرةِ ومن وافقهم الذين يزعمون أنَّه لا صيغةَ للأمر والنهي، بناءً علىٰ أنَّ حقيقةَ الكلام هو معنىٰ قائمٌ في نفس المتكلِّم، وأشار إلىٰ أنَّ هذا القولَ لم يسبِقْهُم إليه أحدٌ من العلماء.

وبهذا يظهر أن ما عليه أئمة الأشاعرة من ادعائهم الكلام النفسي، وأنه معنىٰ واحد مخالف لما عليه أئمة السلف، وأنه مناقض للإيمان بكتب الله.

فظهر مما تقدم: أن التفريق والتبعيض من جهة الوصف يكون بأمور:

١-اعتقاد أن الكتب ليست من كلام الله، وأنها لم تكن منزلة منه سبحانه.

٢- اعتقاد أن موضوع ومدلول الكتب المنزلة واحد.

---

(١) قواطع الأدلة في أصول الفقه (١/ ٨٠-٨١).

وأما الإيمان المفصل: وهو القدر الذي يكون تبعا للعلم التفصيلي الذي يبلغ المكلف من نصوص الكتاب والسنة.

وهو يتضمن أمورًا(١):

١- الإيمان بما سمىٰ الله من الكتب في القرآن، كالتوراة، والإنجيل وغيرها.

قال محمد بن نصر المروزي: «فأن تؤمن بما سمىٰ الله من كتبه في كتابه، من التوراة، والإنجيل، والزبور خاصة، وتؤمن بأن لله سوىٰ ذلك كتبًا أنزلها علىٰ أنبيائه، لا يعرف أسماءها وعددها إلا الذي أنزلها»(٢)

٢- الإيمان بأن الكتب المنزلة علىٰ الرسل هدىٰ وشفاء وحق ونور.

قال تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [يونس: ٥٧].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ﴾ [المائدة: ٤٤].

وقال تعالىٰ: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [المائدة: ٤٦].

وقال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَـٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾﴾ [البقرة: ٢].

٣- الإيمان بالقرآن يكون بالإقرار به واتباع ما فيه، وهو أمر زائد علىٰ الإيمان بغيره من الكتب.

---

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (٣١٢) وشرح ثلاثة الأصول للشيخ العثيمين (ص٩٤).

(٢) تعظيم قدر الصلاة (١/ ٣٩٣).

قال ابن جرير الطبري: «فمنهم مؤمنون بكل كتاب أنزله الله من السماء قبل كتابهم وعاملون به؛ لأن كل كتاب أنزل من السماء قبل الفرقان، فإنه يأمر بالعمل بالفرقان عند نزوله، وباتباع من جاء به، وذلك عمل من أقر بمحمد ﷺ وبما جاء به وعمل بما دعاه إليه بما في القرآن، وبما في غيره من الكتب التي أنزلت قبله»(١).

وقال محمد بن نصر المروزي: «وتؤمن بالفرقان، وإيمانك به غير إيمانك بسائر الكتب، إيمانك بغيره من الكتب إقرارك به بالقلب واللسان، وإيمانك بالفرقان إقرارك به، واتباعك بما فيه»(٢).

٤ - تصديق ما صح من أخبارها علىٰ سبيل التفصيل كأخبار القرآن، وأخبار ما لم يبدل أو يحرف من الكتب السابقة.

فأخبار بني إسرائيل علىٰ درجات ثلاث:

الأولىٰ: ما علمنا صحته عن طريق القرآن والسنة، فهذا صحيح يجب التصديق به؛ لوروده في شرعنا.

الثانية: ما علمنا كذبه؛ لمخالفته لما ثبت في الكتاب والسنة، فهذا باطل يجب التكذيب به.

الثالثة: ما هو مسكوت عنه في شرعنا، فالقاعدة في هذا الباب: «أن الأخبار الإسرائيلية تذكر للاستشهاد لا للاعتضاد» فلا تصدق ولا تكذب، وتجوز حكايتها؛ لقول النبي ﷺ: «**وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج**»(٣)

---

(١) تفسير الطبري (٢٠/ ٤٦٩).

(٢) تعظيم قدر الصلاة (١/ ٣٩٣).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه باب ما ذكر عن بني إسرائيل (٤/ ١٧٠) ح٣٤٦١.

٥- الإيمان بأن القرآن نسخ أحكام الكتب السابقة.

ومن الأدلة علىٰ نسخ القرآن لما قبله من الكتب:

قوله تعالىٰ آمرًا نبيه ﷺ أن يحكم بين أهل الكتاب بالقرآن: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ﴾ [المائدة: ٤٨].

وقوله تعالىٰ: ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [المائدة: ٤٩].

ومما ينبه إليه: أن ما يتعلق بالإخبار عن الله واليوم الآخر وغير ذلك من الأخبار لا نسخ فيه، وكذلك ما يتعلق بالدين الجامع والشرائع الكلية [١].

* * *

---

(١) انظر: الجواب الصحيح (٢/ ٤٥١).

◆ **والإيمان بالكتب يكون بالاعتقاد والقول والعمل:**

أما بالاعتقاد؛ فيكون بالإقرار بأن هذه الكتب من عند الله، وأن الله تكلم بها حقيقة، وأن يصدق بما صح من أخبارها إلىٰ غير ذلك مما يتعلق بالاعتقاد.

وأما بالقول؛ فيكون بالإقرار بها، والنطق بما جاء به القرآن من الذكر، وغير ذلك.

وأما بالعمل؛ فيكون بالعمل بما جاء في القرآن وحده: لأن القرآن ناسخ للكتب السابقة، وقد دخل في الكتب السابقة التبديل والتحريف.

أما أهل الكلام فيحصرون معنىٰ الإيمان في التصديق، فالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله هو مجرد التصديق بهم.

قال أبو بكر الباقلاني: «واعلم أن حقيقة الإيمان هو: التصديق»(١).

وقال أبو المعالي الجويني: «والمرضي عندنا: أن حقيقة الإيمان التصديق بالله تعالىٰ، فالمؤمن بالله من صدقه»(٢).

وقال الرازي: «لا نزاع في أن الإيمان في أصل اللغة عبارة عن التصديق، وفي الشرع عبارة عن تصديق الرسول بكل ما علم من الضرورة مجيئه به»(٣).

وقولهم هذا: مخالف لدلالة نصوص الكتاب والسنة، ومخالف أيضًا لإجماع السلف الصالح من الصحابة ومن اتبعهم بإحسان.

قال الشافعي: «وكان الإجماع من الصحابة، والتابعين من بعدهم، ممن أدركناهم يقولون: إن الإيمان قول، وعمل، ونية، لا يجزئ واحد من الثلاثة بالآخر»(٤).

---

(١) الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به (ص٥٢).

(٢) الإرشاد إلىٰ قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد (ص٣٩٧).

(٣) محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين (ص٢٣٧).

(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (٥/ ٩٥٦).

وقال البخاري: «كتبت عن ألف نفر من العلماء وزيادة ولم أكتب إلا عمن قال: الإيمان قول وعمل»[١].

وقال ابن جرير الطبري: «والصواب لدينا من القول: أن الإيمان قول وعمل ، يزيد وينقص ، وبه الخبر عن جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ ، وعليه مضىٰ أهل الدين والفضل»[٢].

وقال ابن عبد البر: «أجمع أهل الفقه والحديث علىٰ أن الإيمان قول وعمل، ولا عمل إلا بنية، والإيمان عندهم يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية»[٣].

وقال: «وأما سائر الفقهاء من أهل الرأي والآثار: بالحجاز، والعراق، والشام، ومصر، منهم: مالك بن أنس، والليث بن سعد، وسفيان الثوري، والأوزاعي، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وأبو عبيد القاسم بن سلام، وداود بن علي، وأبو جعفر الطبري، ومن سلك سبيلهم، فقالوا: الإيمان قول وعمل.

قول باللسان وهو: الإقرار.

اعتقاد بالقلب.

وعمل بالجوارح، مع الإخلاص بالنية الصادقة»[٤].

❊ ❊ ❊

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (٥/ ٩٥٩).

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (١/ ٢٠٦).

(٣) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٩/ ٢٣٨).

(٤) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٩/ ٢٤٣).

المبحث الرابع
أسماء الكتب، ووقت نزلها

• **أولًا: أسماء الكتب:**

إن نصوص الكتاب والسنة قد وردت بذكر أسماء بعض الكتب التي أنزلها الله علىٰ رسله، ومن هذه الأدلة التي ذكرت أسماء الكتب ما يأتي:

١ - **القرآن**؛ وهو الكتاب الذي أنزله الله علىٰ نبينا محمد ﷺ؛ قال تعالىٰ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وقال تعالىٰ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: ٨٢].

وما أنزله الله علىٰ محمد ﷺ له عدة أسماء، منها:

«**القرآن**»؛ قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾﴾ [القصص: ٨٥].

«**الفرقان**»؛ قال تعالىٰ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾﴾ [الفرقان: ١].

«**الكتاب**»؛ قال تعالىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾﴾ [الكهف: ١].

«**الذكر**»؛ قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

قال ابن جرير الطبري: «ولكل اسم من أسمائه الأربعة في كلام العرب معنىٰ ووجه غير معنىٰ الآخر ووجهه.

فأما القرآن، فإن المفسرين اختلفوا في تأويله، والواجب أن يكون تأويله علىٰ قول ابن عباس: من التلاوة والقراءة، وأن يكون مصدرا، من قول القائل: قرأت القرآن، كقولك: الخسران من خسرت...

وأما تأويل اسمه الذي هو «الفرقان» فإن تفسير أهل التفسير جاء بألفاظ مختلفة، هي في المعاني مؤتلفة... وأصل الفرقان عندنا: الفرق بين الشيئين والفصل بينهما، وقد يكون ذلك بقضاء واستنقاذ وإظهار حجة ونصر، وغير ذلك من المعاني المفرقة بين المحق والمبطل.

فقد تبين بذلك أن القرآن سمي فرقانا؛ لفصله بحججه وأدلته وحدوده وفرائضه وسائر معاني حكمه، بين المحق والمبطل.

وفرقانه بينهما: بنصره المحق وتخذيله المبطل، حكما وقضاء.

وأما تأويل اسمه الذي هو «الكتاب» فهو مصدر من قولك: كتبت كتابًا، كما تقول: قمت قيامًا، وحسبت الشيء حسابًا.

والكتاب هو خط الكاتب حروف المعجم مجموعة ومفترقة.

وسمي كتابًا، وإنما هو مكتوب... يعني به مكتوبًا...

وأما تأويل اسمه الذي هو «ذكر» فإنه محتمل معنيين: أحدهما أنه ذكر من الله -جل ذكره-، ذكَّر به عباده، فعرفهم فيه حدوده وفرائضه وسائر ما أودعه من حكمه.

والآخر: أنه ذكر وشرف وفخر لمن آمن به وصدق بما فيه، كما قال تعالىٰ: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [الزخرف: ٤٤] يعني به: أنه شرف لك ولقومك»(١).

---

(١) تفسير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١/ ٥٢-٥٥).

٢- **التوراة**، وهو الكتاب الذي أنزله الله علىٰ موسىٰ عليه السلام؛ قال تعالىٰ: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾﴾ [آل عمران: ٥٠].

وقال تعالىٰ: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌۚ ﴾ [المائدة: ٤٤].

والتوراة أنزلها الله مكتوبة في الألواح؛ قال تعالىٰ: ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِي ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَاۚ سَأُوْرِيكُمْ دَارَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ [الأعراف: ١٤٥].

قال البغوي: «قوله عز وجل: ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ ﴾ يعني لموسىٰ، ﴿فِي ٱلْأَلْوَاحِ ﴾ قال ابن عباس: يريد ألواح التوراة»[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**احتج آدم وموسىٰ، فقال له موسىٰ: يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة، قال له آدم: يا موسىٰ اصطفاك الله بكلامه، وخط لك بيده**»[٢].

٣- **الإنجيل**، وهو الكتاب الذي أنزله الله علىٰ عيسىٰ عليه السلام؛ قال تعالىٰ: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [المائدة: ٤٦].

وقال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ ﴾ [الفتح: ٢٩].

٤- **الزبور**، وهو الكتاب الذي أنزله الله علىٰ داود عليه السلام؛ قال تعالىٰ: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾﴾ [النساء: ١٦٣].

وقال تعالىٰ: ﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ

---

(١) تفسير البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن (٣/ ٢٨٠).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه باب تحاج آدم وموسىٰ عند الله (٨/ ١٢٦) ح٦٦١٤.

بَعْضٍۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾ ﴾ [الإسراء: ٥٥].

٥- صحف إبراهيم وموسىٰ؛ قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾ [الأعلىٰ: ١٨ - ١٩].

وقال تعالىٰ: ﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ ﴾ [النجم: ٣٦ - ٣٧].

ومن الأمور المهمة التي ينبغي الإشارة إليها: أن لفظ التوراة والإنجيل والقرآن والزبور قد تأتي في النصوص الشرعية ويراد بها الكتب المعينة، وقد تأتي ويراد بها الجنس.

قال تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

قال البغوي: «قوله ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ ﴾ قال سعيد ابن جبير ومجاهد: الزبور جميع الكتب المنزلة»[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**خفِّف علىٰ داود عليه السلام القرآن، فكان يأمر بدوابه فتسرج، فيقرأ القرآن قبل أن تسرج دوابه، ولا يأكل إلا من عمل يده**»[2].

والمراد بالقرآن هو: الزبور الذي أنزل علىٰ داود.

قال ابن القيم: «فإن لفظ التوراة والإنجيل والزبور والقرآن يراد به الكتب المعنية تارة، ويراد به الجنس تارة، فيعبر بلفظ القرآن عن الزبور، وبلفظ التوراة عن الإنجيل وعن القرآن أيضًا»[3].

---

(١) تفسير البغوي (٥/ ٢٥٨).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٤/ ١٦٠) ح٣٤١٧.

(٣) هداية الحيارىٰ في أجوبة اليهود والنصارىٰ (٢/ ٣٦٩).

• **ثانيًا: وقت نزول الكتب:**

قد ورد بذلك حديث عن النبي ﷺ، وهذا مما يتعلق بالإيمان التفصيلي، فإذا علم الإنسان وقت نزول الكتب وآمن بذلك ازداد إيمانه: وفيما يأتي ذكرٌ لهذا الحديث:

عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**أنزلت صحف إبراهيم عليه السلام في أول ليلة من رمضان، وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان، والإنجيل لثلاث عشرة خلت من رمضان، وأنزل الفرقان لأربع وعشرين خلت من رمضان**»[(١)].

❊ ❊ ❊

(١) أخرجه أحمد في المسند (٢٨/ ١٩١) ح ١٦٩٨٤ وحسنه الألباني في الصحيحة (٤/ ١٠٤).

المبحث الخامس
خصائص القرآن الكريم

إن للقرآن الكريم خصائص تميز بها عن سائر الكتب السابقة، ومن هذه الخصائص:

• **أولًا: القرآن نزل منجمًا بحسب الوقائع.**

إنَّ القرآنَ نزلَ حقيقةً من عند الله، أنزَلَه اللهُ علىٰ نبينا ﷺ ، فإنَّ اللهَ تكلَّم بالقرآن، فسمِعَه منه جبريلُ، وجبريلُ عليه السلام نـزَلَ به علىٰ قلبِ محمد ﷺ.

واللهُ قد بيَّن في غيرِ موضعٍ من كتابه أنَّ القرآنَ مُنـزَّلٌ منه، قال تعالىٰ: ﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى﴾ [سورة طه آية: ٤]، وقال تعالىٰ: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [سورة الزمر آية:١-٢].

فمن قال: إنه منـزَّلٌ من بعض المخلوقات كاللوح والهواء فهو مُفترٍ علىٰ الله، مُكذِّبٌ لكتاب الله، متبعٌ لغير سبيل المؤمنين.

ألا ترىٰ أنَّ الله فرَّق بين ما نزل منه وبين ما أنزَلَهُ من بعضِ المخلوقات، كالمطَرِ بأنْ قال ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ [سورة الرعد: آية: ١٧].

فذكرَ المطرَ في غير موضع، وأخبَرَ أنه أنزَلَهُ من السماء، والقرآنُ أخبَرَ أنه مُنـزَلٌ منه ، فالله لم يُخبِرْ عن شيءٍ أنه نَزَلَ منه إلا كلامهُ.

كما أخبَرَ بتنـزيلٍ مُطلقٍ في مثل قوله: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ﴾ [سورة الحديد: آية: ٢٥] ؛ لأنَّ الحديدَ يَنـزِلُ من رؤوس الجبال لا ينـزلُ مِنَ السماء.

ولو كان جبريلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أخَذَ القرآنَ من اللوحِ المحفوظِ لكان اليهودُ أكرمَ علىٰ اللهِ مِن أمَّةِ محمد ﷺ، لأنَّ اللهَ كتب لموسىٰ التوراة وأنزلها مكتوبةً، فيكون بنو إسرائيلَ قَد قرؤوا الألواحَ التي كتبها اللهُ، وأما المسلمُونَ فأخذوهُ عن محمد ﷺ، ومحمدٌ ﷺ أخذه عن جبريلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وجبريلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عن اللوحِ، فيكونُ بنو إسرائيل بمنزلةِ جبريلَ، وتكونُ منزلةُ بني إسرائيلَ أرفعَ من منزلة محمد ﷺ علىٰ قول هؤلاء الجهمية.

ثم إن كانَ جبريلُ لم يسمعْه مِنَ الله وإنما وَجَدَهُ مكتوبا كانت العبارةُ عبارةَ جبريل، وكان القرآنُ كلامَ جبريل ترجَم به عن الله، كما يُترجَمُ عن الأخرسِ الذي كتبَ كلاما ولم يَقدِرْ أن يتكلَّم به، وهذا خلافُ دينِ المسلمين.(١)

وما سبق ذِكْرُه من كونِ القرآنِ منـزَّلًا من الله لا ينافي أنَّ القرآنَ كان مكتوبا في اللوحِ المحفوظِ قبل نزوله، فكونُ القرآنِ مكتوبًا في اللوحِ المحفوظ لا يُنافي أن يكونَ جبريلُ نَزَلَ به من عند الله سواء كتبه قبلَ أن يرسل به جبريل أو غير ذلك.(٢)

فالقرآن أنزله الله ليلة القدر جملة واحدة ثم بعد ذلك نزل منجما بحسب الوقائع، كما قال الصحابي الجليل ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أنزَلَ اللهُ القرآنَ إلىٰ السَّماء الدنيا في ليلةِ القدرِ، فكان اللهُ إذا أراد أن يُوحِيَ منه شيئًا أوْحَاه»(٣).

وكونه أُنزل منجمًا: اختص به القرآن دون غيره من الكتب، فإن الكتب

---

(١) انظر: مجموعة الرسائل والمسائل (١/ ٤٨٨).

(٢) انظر: مجموعة الرسائل والمسائل (١/ ٤٣٢-٤٣٣).

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢/ ١٩٢) عن المثنىٰ عن عبد الوهاب عن داود عن عكرمة عن ابن عباس به. وأخرجه النسائي في السنن الكبرىٰ بمعناه (٧/ ٢٤٧) عن قتيبة عن ابن أبي عدي عن داود به. وداود هو: ابن أبي هند وهو ثقة متقن كما في التقريب (ص٢٤٠) والأثر صحيح.

السابقة نزلت جملة واحدة.

قال تعالىٰ: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾ [الفرقان: ٣٢].

قال ابن جرير الطبري: «قوله -تعالىٰ ذكره-: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ بالله ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ يقول: هلا نزل علىٰ محمد ﷺ القرآن ﴿جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ كما أنزلت التوراة علىٰ موسىٰ جملة واحدة؟ قال الله: ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ تنزيله عليك الآية بعد الآية، والشيء بعد الشيء، لنثبت به فؤادك نزلناه»[1].

* * *

(١) تفسير الطبري، جامع البيان عن آي القرآن (١٩/ ٢٦٥).

• **ثانيًا: القرآن معجزة النبي ﷺ الباقية:**

إن الله سبحانه جعل القرآن معجزة النبي ﷺ الباقية إلىٰ قيام الساعة، وهذه فضيلة عظيمة تميز بها القرآن علىٰ كل كتاب أنزله الله، ومصداق هذا ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحيًا أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة**»(١).

قال الحافظ ابن كثير: «وفي هذا الحديث فضيلة عظيمة للقرآن المجيد علىٰ كل معجزة أعطيها نبي من الأنبياء، وعلىٰ كل كتاب أنزله، وذلك أن معنىٰ الحديث: ما من نبي إلا أعطي من المعجزات ما آمن عليه البشر، أي: ما كان دليلا علىٰ تصديقه فيما جاءهم به واتبعه من اتبعه من البشر، ثم لما مات الأنبياء لم يبق لهم معجزة بعدهم إلا ما يحكيه أتباعهم عما شاهده في زمانه، فأما الرسول الخاتم للرسالة محمد ﷺ فإنما كان معظم ما آتاه الله وحيًا منه إليه منقولا إلىٰ الناس بالتواتر، ففي كل حين هو كما أنزل، فلهذا قال: «**فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا**»، وكذلك وقع، فإن أتباعه أكثر من أتباع الأنبياء لعموم رسالته ودوامها إلىٰ قيام الساعة، واستمرار معجزته؛ ولهذا قال الله: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾ [الفرقان: ١]»(٢).

* * *

(١) أخرجه البخاري في صحيحه باب كيف نزول الوحي (٦/ ١٨٢) ح ٤٩٨١.

(٢) تفسير القرآن العظيم (١/ ٢٠).

• **ثالثًا: القرآن مهيمن علىٰ ما بين يديه من الكتب:**

وأصل «الهيمنة»: الحفظ والارتقاب. يقال، إذا رَقَب الرجل الشيء وحفظه وشَهِده: «قد هيمن فلان عليه، فهو يُهَيمن هيمنة، وهو عليه مهيمن»(١).

فقد جعل الله القرآن شاهدًا وحاكمًا ومؤتمنًا، فهو يحكم بما في الكتب السابقة مما لم ينسخه الله، ويشهد بتصديق ما فيها مما لم يبدل(٢).

وقد دل علىٰ أن القرآن مهيمن علىٰ ما بين يديه من الكتب قوله -عز ذكره-: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ ﴾ [المائدة: ٤٨].

قال ابن جرير الطبري: «وهذا خطابٌ من الله تعالىٰ ذكره لنبيه محمدٍ ﷺ. يقول -تعالىٰ ذكره-: أنزلنا إليك، يا محمد، ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾، وهو القرآن الذي أنزله عليه، ويعني بقوله: ﴿بِٱلْحَقِّ﴾، بالصدق ولا كذب فيه، ولا شك أنه من عند الله. ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾، يقول: أنزلناه بتصديق ما قبله من كتب الله التي أنزلها إلىٰ أنبيائه.

﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾، يقول: أنزلنا الكتاب الذي أنزلناه إليك، يا محمد، مصدّقًا للكتب قبله، وشهيدًا عليها أنها حق من عند الله، أمينًا عليها، حافظًا لها»(٣).

وقال البغوي: «قوله ﷻ: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿ ٱلْكِتَٰبَ﴾ القرآن، ﴿بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي: من الكتب المنزلة من قبل، ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ روىٰ الوالبي(٤) عن ابن رضي الله عنهما، أي: شاهدا عليه. وهو قول

(١) تفسير الطبري (١٠/ ٣٧٧).

(٢) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٢/ ٤٣٨).

(٣) تفسير الطبري (١٠/ ٣٧٧).

(٤) هو: علي بن أبي طلحة. روىٰ التفسير عن ابن عباس قال ابن حجر في العجاب في بيان الأسباب =

مجاهد، وقتادة، والسدي، والكسائي.

قال حسان:

إن الكتـــاب مهـــيمن لنبينـــا والحـــق يعرفـــه ذوو الألبـــاب

يريد: شاهدًا ومصدقًا.

وقال عكرمة: دالًّا.

وقال سعيد بن جبير وأبو عبيدة: مؤتمنًا عليه.

وقال الحسن: أمينًا.

وقيل: أصله مؤيمن، مفيعل من أمين، كما قالوا: مبيطر من البيطار، فقلبت الهمزة هاء، كما قالوا: أرقت الماء وهرقته، وإيهات وهيهات، ونحوها.

ومعنىٰ أمانة القرآن ما قال ابن جريج: القرآن أمين علىٰ ما قبله من الكتب، فما أخبر أهل الكتاب عن كتابهم فإن كان في القرآن فصدقوا، وإلا فكذبوا.

وقال سعيد بن المسيب والضحاك: قاضيًا.

وقال الخليل: رقيبًا وحافظًا.

والمعاني متقاربة، ومعنىٰ الكل: أن كل كتاب يشهد بصدقه القرآن فهو كتاب الله تعالىٰ، وما لا فلا»[1].

وكون القرآن مهيمنًا علىٰ ما قبله من الكتب متفق عليه بين السلف، وممن حكىٰ الإجماع علىٰ ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية.

قال أبو العباس ابن تيمية: «فالسلف كلهم متفقون علىٰ أن القرآن هو

=

(ص ٥٨): «وعليٌّ صدوقٌ لم يلقَ ابن عباس رضي الله عنهما، لكنه إنما حمل عن ثقات أصحابه، فلذلك كان البخاريُّ وابن أبي حاتم وغيرهما يعتمدون علىٰ هذه النسخة».

(١) تفسير البغوي (٣/ ٧٥).

المهيمن المؤتمن الشاهد علىٰ ما بين يديه من الكتب.

ومعلوم أن المهيمن علىٰ الشيء أعلىٰ منه مرتبة.

ومن أسماء الله «المهيمن» ويسمىٰ الحاكم علىٰ الناس القائم بأمورهم «المهيمن» »(١).

ومن وجوه كون القرآن مهيمنًا علىٰ الكتب قبله ما يأتي:

الوجه الأول: أن القرآن قرر ما في الكتب المتقدمة من الخبر عن الله، وعن اليوم الآخر، وزاد ذلك بيانًا وتفصيلًا.

الوجه الثاني: أن القرآن بين الأدلة والبراهين علىٰ ذلك.

الوجه الثالث: أن القرآن قرر نبوة الأنبياء كلهم، ورسالة المرسلين.

الوجه الرابع: أن القرآن قرر الشرائع الكلية التي بعثت بها الرسل كلهم.

الوجه الخامس: أن القرآن جادل المكذبين بالكتب، والرسل بأنواع الحجج والبراهين، وبين عقوبات الله لهم، ونصره لأهل الكتب المتبعين لها.

الوجه السادس: أن القرآن بين ما حرف من الكتب وبدل، وما فعله أهل الكتاب في الكتب المتقدمة.

الوجه السابع: أن القرآن بين أيضًا ما كتموه مما أمر الله ببيانه.

فالقرآن صارت له الهيمنة علىٰ ما بين يديه من الكتب من وجوه متعددة، فهو شاهد بصدقها، وشاهد بكذب ما حرف منها، وهو حاكم بإقرار ما أقره الله، ونسخ ما نسخه، فهو شاهد في الخبريات، حاكم في الأمريات(٢).

❊ ❊ ❊

---

(١) انظر: مجموع الفتاوىٰ (١٧/ ٤٣).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (١٧/ ٤٤).

• **رابعًا: القرآن معجز:**

القرآن معجز من وجوه متعددة، منها:

١- من جهة اللفظ.

٢- من جهة النظم.

٣- من جهة البلاغة في دلالة اللفظ علىٰ المعنىٰ.

٤- من جهة معانيه التي أخبر بها عن الله وأسمائه وصفاته، وملائكته، وغير ذلك.

٥- من جهة معانيه التي أخبر بها عن الغيب.

٦- من جهة ما أخبر به عن المعاد.

٧- من جهة ما فيه من الدلائل اليقينية، والأقيسة العقلية[1].

قال جلال الدين السيوطي: «وأنهىٰ بعضهم وجوه إعجازه إلىٰ ثمانين. والصواب: أنه لا نهاية لوجوه إعجازه»[2].

والله سبحانه تحدىٰ بالقرآن الأمم المعارضة؛ فقد تحداهم أن يأتوا بحديث مثله قال تعالىٰ: ﴿ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴾ [الطور: ٣٤].

ثم تحداهم بعشر سور مثله وهم وكل من استطاعوا من دون الله؛ قال تعالىٰ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾﴾ [هود: ١٣].

ثم تحداهم بسورة واحدة منه، فقال تعالىٰ: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [يونس: ٣٨].

---

(١) انظر: الجواب الصحيح (٥/ ٤٢٨).

(٢) معترك الأقران في إعجاز القرآن (١/ ٥).

ثم أعاد التحدي في المدينة بعد الهجرة، وهذا شامل لجميع الخلق إنسهم وجنهم كما قال تعالىٰ: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [الإسراء: ٨٨].

قال أبو العباس ابن تيمية: «فإذا كان قد تحداهم بالمعارضة – مرة بعد مرة – وهي تبطل دعوته، فمعلوم أنهم لو كانوا قادرين عليها لفعلوها، فإنه مع وجود هذا الداعي التام المؤكد إذا كانت القدرة حاصلة، وجب وجود المقدور، ثم هكذا القول في سائر أهل الأرض.

فهذا القدر يوجب علمًا بينًا لكل أحد بعجز جميع أهل الأرض، عن أن يأتوا بمثل هذا القرآن بحيلة، وبغير حيلة»[١].

ومن خلال ما تقدم: يتضح أن القرآن معجز من وجوه متعددة.

ومن الخطأ المبين والضلال البعيد الذي وقع فيه أهل الكلام في هذا الباب، أنهم حصروا الإعجاز في جانب واحد.

قال ابن القيم في بيان قصور المتكلمين، وتقصيرهم في بيان إعجاز القرآن: «فتأمل هذا الموضع من إعجاز القرآن تعرف فيه قصور كثير من المتكلمين، وتقصيرهم في بيان إعجازه، وأنهم لن يوفوه عشر معشار حقه، حتىٰ قصر بعضهم الإعجاز علىٰ صرف الدواعي عن معارضته مع القدرة عليها، وبعضهم قصر الإعجاز علىٰ مجرد فصاحته وبلاغته، وبعضهم علىٰ مخالفة أسلوب نظمه لأساليب نظم الكلام، وبعضهم علىٰ ما اشتمل عليه من الإخبار بالغيوب، إلىٰ غير ذلك من الأقوال القاصرة التي لا تشفي ولا تجدي، وإعجازه فوق ذلك، ووراء ذلك كله»[٢].

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح(٥/ ٤٢٧).
(٢) بدائع الفوائد (٤/ ١٣٦).

وقد زعم بعضهم أن المراد بإعجاز القرآن الصَّرْفة، بمعنىٰ: أن الله صرفهم عن معارضته مع قدرتهم علىٰ ذلك.

قال أبو المظفر السمعاني: «وسمعت والدي يقول: إن هذا قول اخترعه الجاحظ، ولم يسبقه إليه أحد، ومن قال به بعده فإياه اتبع، وعلىٰ منواله نسج، وهو في نفسه مستمسج مستهجن»(١).

وقال الشهرستاني الأشعري عن النظام المعتزلي: «قوله في إعجاز القرآن إنه من حيث الإخبار عن الأمور الماضية والآتية، ومن جهة صرف الدواعي عن المعارضة، ومنع العرب عن الاهتمام به جبرًا وتعجيزًا، حتىٰ لو خلاهم لكانوا قادرين علىٰ أن يأتوا بسورة من مثله بلاغة وفصاحة ونظمًا»(٢).

وقال بالصرفة أيضًا أبو المعالي الجويني في رسالته النظامية: «فتبين قطعا: أن الخلق ممنوعون عن مثل ما هو من مقدورهم، وذلك أبلغ عندنا من خرق العوائد بالأفعال البديعة في أنفسها»(٣).

والحق المقطوع به: أن الخلق كلهم عاجزون عن معارضته، لا يقدرون علىٰ ذلك، ولا حتىٰ نبينا ﷺ يقدر من تلقاء نفسه علىٰ أن يبدل سورة من القرآن، كما قد أخبر الله به في قوله: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [الإسراء: ٨٨].

وقال سبحانه: ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الحاقة: ٤٤ - ٤٦].

---

(١) قواطع الأدلة في أصول الفقه (١/ ٣٤).

(٢) الملل والنحل (١/ ٥٧).

(٣) الرسالة النظامية (ص ٧٢-٧٣).

ثم إن الناس يجدون دواعيهم إلىٰ المعارضة حاصلة، لكنهم يحسون من أنفسهم العجز عن المعارضة، ولو كانوا قادرين لعارضوه[١].

قال ابن عطية: «والصحيح أن الإتيان بمثل القرآن لم يكن قط في قدرة أحد من المخلوقين، ويظهر لك قصور البشر في أن الفصيح منهم يصنع خطبة، أو قصيدة، يستفرغ فيها جهده، ثم لا يزال ينقحها حولا كاملا، ثم تعطىٰ لآخر نظيره فيأخذها بقريحة جامة فيبدل فيها وينقح، ثم لا تزال كذلك فيها مواضع للنظر والبدل.

وكتاب الله لو نزعت منه لفظة، ثم أدير لسان العرب في أن يوجد أحسن منها، لم يوجد»[٢].

وقال أبو عبد الله القرطبي: «ووجه حادي عشر قاله النظام وبعض القدرية: أن وجه الإعجاز هو المنع من معارضته، والصرفة عند التحدي بمثله. وأن المنة والصرفة هو المعجزة دون ذات القرآن؛ وذلك أن الله تعالىٰ صرف هممهم عن معارضته مع تحديهم بأن يأتوا بسورة من مثله.

وهذا فاسد؛ لأن إجماع الأمة قبل حدوث المخالف أن القرآن هو المعجز، فلو قلنا: إن المنع والصرفة هو المعجز، لخرج القرآن عن أن يكون معجزا، وذلك خلاف الإجماع.

وإذا كان كذلك عُلم أن نفس القرآن هو المعجز؛ لأن فصاحته وبلاغته أمر خارق للعادة؛ إذ لم يوجد قط كلام علىٰ هذا الوجه، فلما لم يكن ذلك الكلام مألوفا معتادا منهم، دل علىٰ أن المنع والصرفة لم يكن معجزًا»[٣].

---

(١) انظر: الجواب الصحيح (٥/ ٤٢٨-٤٣٥).

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١/ ٥٢).

(٣) تفسير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (١/ ١١٩).

ومما يجب أن يعلم: أن نفس نظم القرآن وأسلوبه عجيب بديع، ليس من جنس أساليب الكلام المعروفة، ولم يأت أحد بنظير هذا الأسلوب، فإنه ليس من جنس الشعر، ولا الرجز، ولا الخطابة، ولا الرسائل، ولا نظمه نظم شيء من كلام الناس عربهم وعجمهم.

ونفس فصاحة القرآن وبلاغته خارق للعادة، ليس له نظير في كلام جميع الخلق.

ونفس ما أخبر به القرآن في باب توحيد الله وأسمائه وصفاته، أمر خارق للعادة، لم يوجد مثل ذلك في كلام بشر، لا نبي ولا غير نبي.

وكذلك ما أخبر به عن الملائكة، والعرش، والكرسي، والجن، وخلق آدم، وغير ذلك، ونفس ما أمر به القرآن من الدين، والشرائع كذلك، ونفس ما أخبر به من الأمثال، وبينه من الدلائل هو - أيضًا - كذلك [1].

* * *

(١) انظر: الجواب الصحيح (٥/ ٤٢٨-٤٣٥).

• **خامسًا: القرآن ميسر للذكر:**

إن الله سبحانه يسر القرآن - الذي هو آخر الكتب المنزلة من عند الله جل ذكره - للحفظ، وليس ذلك إلا للقرآن، أما غير القرآن فلم يُيسَّر لذلك، ولهذا كان أهل الكتاب لا يحفظون كتبهم.

قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾ [القمر: ١٧].

قال أبو زكريا الفراء: «يقول: هوّناه ولولا ذلك ما أطاق العبادُ أن يتكلمُوا بكلام الله. وَيُقَال: وَلَقَدْ يسرنا القرآن للذكر: للحفظ، فليس من كتاب يحفظ ظاهرًا غيرُه»[١].

وقال ابن جرير الطبري: «ولقد سهَّلنا القرآن، بيَّناه وفصلناه للذكر، لمن أراد أن يتذكر ويعتبر ويتعظ، وهوّناه».

وقال الحافظ ابن حجر: «حفظ التوراة والإنجيل لم يكن متيسرًا كتيسر حفظ القرآن الذي خصت به هذه الأمة»[٢]

❊ ❊ ❊

---

(١) معاني القرآن (٣/ ١٠٨).

(٢) فتح الباري (١/ ٢٥).

• **سادسًا: القرآن محفوظ من التبديل والتغيير:**

إن الله حفظ القرآن من كل تبديل وتغيير، فلم يزاد فيه، ولم يُنقَص منه؛ حتىٰ تقوم الحجة به علىٰ الناس أجمعين.

قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

قال قتادة: «حفظه الله من أن يزيد فيه الشيطان باطلًا أو ينقص منه حقًّا»[(١)].

وقال ابن جرير الطبري: «وإنا للقرآن لحافظون من أن يزاد فيه باطل مَّا ليس منه، أو ينقص منه ما هو منه من أحكامه وحدوده وفرائضه، والهاء في قوله: (لَهُ) من ذكر الذكر»[(٢)].

وقال تعالىٰ: ﴿الٓر ۚ كِتَـٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَـٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١].

وقال تعالىٰ: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤٢].

وقد تكفل الله بحفظه، أما غيره من الكتب فقد وكلها إليهم فحصل فيها التغيير والتبديل.

قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ [المائدة: ٤٤].

قال ابن القيم: «ولولا أن الله ﷻ تولىٰ حفظ القرآن بذاته وضمن للأمة أن لا تجتمع علىٰ ضلالة - لأصابه ما أصاب الكتب قبله»[(٣)].

---

(١) تفسير الطبري (١٧/ ٦٨).

(٢) تفسير الطبري (١٧/ ٦٨).

(٣) هداية الحيارىٰ في أجوبة اليهود والنصارىٰ (١/ ٣١٥).

ومن حفظ الله له: أن جعله في صدور المسلمين كما قال تعالىٰ: ﴿ بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [العنكبوت: ٤٩].

فالقرآن ما زال محفوظًا في الصدور نقلا متواترا، فلو أراد أحد أن يزيد في المصاحف أو ينقص لعرف ذلك صبيان المسلمين قبل علمائهم وحفاظهم؛ لحفظهم للقرآن.

بل حتىٰ معاني القرآن التي اتفق عليها المسلمون لم يدخلها تحريف ولا تغيير.

قال ابن تيمية: «فبيَّن – أي: النبي ﷺ – ما أنزل الله لفظه ومعناه، فصار معاني القرآن التي اتفق عليها المسلمون اتفاقًا ظاهرًا مما توارثته الأمة عن نبيها ﷺ، كما توارثت عنه ألفاظ القرآن، فلم يكن – ولله الحمد – فيما اتفقت عليه الأمة شيء محرف مبدل من المعاني، فكيف بألفاظ تلك المعاني.

فإن نقلها والاتفاق عليها أظهر منه في الألفاظ، فكان الدين الظاهر للمسلمين الذي اتفقوا عليه مما نقلوه عن نبيهم: لفظه ومعناه، فلم يكن فيه تحريف ولا تبديل، لا للفظ ولا للمعنىٰ»[(١)].

وقال ابن القيم: «فالله سبحانه حفظ محله، وحفظه من الزيادة والنقصان والتبديل، وحفظ معانيه من التحريف، كما حفظ ألفاظه من التبديل، وأقام له من يحفظ حروفه من الزيادة والنقصان، ومعانيه من التحريف والتغيير»[(٢)].

ومن حفظ الله له: أن هيأ جمع القرآن من أماكنه المتفرقة؛ حتىٰ يتمكن القارئ من حفظه كله.

---

(١) الجواب الصحيح (٣/ ١٨).

(٢) التبيان في أقسام القرآن (ص٩٩).

فجمعه أبو بكر الصديق؛ كما جاء في صحيح البخاري عن زيد بن ثابت ﷺ، قال: «أرسل إلي أبو بكر ﷺ مقتل أهل اليمامة، فإذا عمر بن الخطاب عنده» ، قال أبو بكر ﷺ: إن عمر ﷺ أتاني فقال: إن القتل قد استحرَّ[١] يوم اليمامة بقراء القرآن، وإني أخشىٰ أن يستحر القتل بالقراء بالمواطن، فيذهب كثير من القرآن، وإني أرىٰ أن تأمر بجمع القرآن، قلت لعمر: «كيف تفعل شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ؟» قال عمر: هذا والله خير، «فلم يزل عمر يراجعني حتىٰ شرح الله صدري لذلك، ورأيت في ذلك الذي رأىٰ عمر» ، قال زيد: قال أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ، فتتبع القرآن فاجمعه، «فو الله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن» ، قلت: «كيف تفعلون شيئًا لم يفعله رسول الله ﷺ؟» ، قال: هو والله خير، «فلم يزل أبو بكر يراجعني حتىٰ شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فتتبعت القرآن أجمعه من العسب[٢] واللخاف[٣]، وصدور الرجال...»[٤].

قال ابن كثير: «فكان الذي فعله الشيخان أبو بكر وعمر من أكبر المصالح الدينية وأعظمها، من حفظهما كتاب الله في الصحف؛ لئلا يذهب منه شيء بموت من تلقاه عن رسول الله ﷺ»[٥].

---

(١) أي: اشتد وكثر، وهو استفعل من الحر: الشدة. [النهاية في غريب الحديث والأثر ١/ ٣٦٤].

(٢) أي جريدة من النخل. وهي السعفة مما لا ينبت عليه الخوص.[النهاية في غريب الحديث والأثر ٣/ ٢٣٤].

(٣) هي جمع لخفة، وهي حجارة بيض رقاق انظر: [النهاية في غريب الحديث والأثر ٤/ ٢٤٤].

(٤) باب جمع القرآن (٦/ ١٨٣) ح ٤٩٨٦.

(٥) تفسير القرآن العظيم (١/ ٢٧).

ثم بعد ذلك قام بجمعه عثمان بن عفان ﷺ وهو الجمع الثاني؛ فقد جاء في صحيح البخاري أن حذيفة بن اليمان، قدم علىٰ عثمان وكان يغازي أهل الشأم في فتح أرمينية، وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين، أدرك هذه الأمة، قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارىٰ، فأرسل عثمان إلىٰ حفصة: «أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف، ثم نردها إليك» ، فأرسلت بها حفصة إلىٰ عثمان، فأمر زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف»، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: «إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم» ففعلوا حتىٰ إذا نسخوا الصحف في المصاحف، رد عثمان الصحف إلىٰ حفصة، وأرسل إلىٰ كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف، أن يحرق»[1].

فعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جمع الناس علىٰ قراءة واحدة؛ لئلا يختلفوا في القرآن، ووافقه علىٰ ذلك جميع الصحابة.[2]

وهذه الميزة لم تحصل للكتب السابقة، فالكتب السابقة حصل فيها الاختلاف، ولهذا قال حذيفة لعثمان: «يا أمير المؤمنين، أدرك هذه الأمة، قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارىٰ».

قال ابن كثير: «وذلك أن اليهود والنصارىٰ مختلفون فيما بأيديهم من الكتب، فاليهود بأيديهم نسخة من التوراة، والسامرة يخالفونهم في ألفاظ كثيرة

---

(١) باب جمع القرآن (٦/ ١٨٣) ح ٤٩٨٧.
(٢) تفسير القرآن العظيم (١/ ٢٨).

ومعان أيضًا، وليس في توراة السامرة حرف الهمزة ولا حرف الياء، والنصارىٰ -أيضًا-بأيديهم توراة يسمونها العتيقة وهي مخالفة لنسختي اليهود والسامرة، وأما الأناجيل التي بأيدي النصارىٰ فأربعة: إنجيل مرقس، وإنجيل لوقا وإنجيل متىٰ، وإنجيل يوحنا، وهي مختلفة -أيضًا- اختلافًا كثيرًا»[(١)].

* * *

(١) تفسير القرآن العظيم (١/ ٢٨).

• **سابعًا: القرآن شامل في خطابه لعموم الثقلين من الجن والإنس:**

قد خص الله سبحانه هذا القرآن ليكون خطابًا للعالمين جميعًا إنسهم وجنهم.

قال تعالىٰ: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ﴾ [الفرقان: ١].

قال البغوي: «﴿ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ أي: للجن والإنس. قيل: النذير هو القرآن. وقيل: محمد ﷺ»[(١)].

وقال ابن كثير: «قوله: ﴿ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ أي: إنما خصه بهذا الكتاب العظيم المبين المفصل المحكم الذي: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤٢]، الذي جعله فرقانًا عظيمًا -إنما خصه به ليخصه بالرسالة إلىٰ من يستظل بالخضراء، ويستقل علىٰ الغبراء»[(٢)].

فالقرآن الكريم يجب علىٰ الثقلين جميعًا الإيمان به واتباعه، فكل من سمع به ولم يؤمن به فهو مخلد في نار جهنم.

قال ابن جرير الطبري في تقرير عموم الرسالة: «وابتعثه -أي: النبي ﷺ- بالدعوة التامة، والرسالة العامة»[(٣)].

أما بقية الكتب فهي خاصة بالقوم التي أنزلت لهم الكتب؛ قال ﷺ: «**وكان النبي يبعث إلىٰ قومه خاصة وبعثت إلىٰ الناس عامة**»[(٤)].

❊ ❊ ❊

---

(١) معالم التنزيل في تفسير القرآن (٦/ ٦٩).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٦/ ٩٢).

(٣) تفسير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١/ ٦).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التيمم (١/ ٧٤) ح ٣٣٥.

المبحث السادس
تنبيه على بعض المسائل المتعلقة بالكتب

• **المسألة الأولىٰ: وقوع التحريف في الكتب السابقة:**

التحريف لغة: التغيير.

ومنه: تحريف الكلام، وهو: عدله عن جهته، والتحريف في القرآن والكلمة: تغيير الحرف عن معناه والكلمة عن معناها(١).

قال تعالىٰ: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [النساء: ٤٦].

وقال تعالىٰ: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝٧٥﴾ [البقرة: ٧٥].

قال ابن جرير الطبري: «ويعني بقوله: ﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ﴾، ثم يبدلون معناه وتأويله ويغيرونه. وأصله من «انحراف الشيء عن جهته»، وهو ميله عنها إلىٰ غيرها. فكذلك قوله: ﴿يُحَرِّفُونَهُۥ﴾ أي يميلونه عن وجهه ومعناه الذي هو معناه، إلىٰ غيره.

فأخبر الله -جل ثناؤه- أنهم فعلوا ما فعلوا من ذلك علىٰ علم منهم بتأويل ما حرفوا، وأنه بخلاف ما حرفوه إليه.

فقال: ﴿يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾، يعني: من بعد ما عقلوا تأويله، ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾، أي: يعلمون أنهم في تحريفهم ما حرفوا من ذلك مبطلون كاذبون»(٢).

---

(١) مقاييس اللغة لابن فارس (٢/ ٤٣) ولسان العرب (٩/ ٤٣).

(٢) تفسير الطبري (٢/ ٢٤٩).

وقال تعالىٰ: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [البقرة: ٧٩].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [آل عمران: ٧٨].

فهذه الأدلة واضحة الدلالة علىٰ أن أهل الكتاب حرفوا كتبهم وغيروها، وأدخلوا فيها ما ليس منها، ونسبوا ذلك إلىٰ الله زورًا وكذبًا، وقد توعدهم الله علىٰ ذلك بالويل.

كما بين سبحانه أن النبي ﷺ يبين كثيرا مما أخفاه أهل الكتاب مما جاء في كتبهم؛ قال تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ ﴾ [المائدة: ١٥].

قال ابن القيم: «وأما التحريف: فقد أخبر الله ﷻ عنه في مواضع متعددة، وكذلك لي اللسان بالكتاب ليحسبه السامع منه وما هو منه.

فهذه خمسة أمور:

أحدها: لبس الحق بالباطل، وهو خلطه به بحيث لا يتميز الحق من الباطل.

الثاني: كتمان الحق.

الثالث: إخفاؤه وهو قريب من كتمانه.

الرابع: تحريف الكلم عن مواضعه، وهو نوعان: تحريف لفظه، وتحريف معناه.

الخامس: لي اللسان به ليلتبس علىٰ السامع اللفظ المنزل بغيره.

وهذه الأمور إنما ارتكبوها لأغراض لهم دعتهم إلىٰ ذلك»[(١)].

ومن ذلك التحريف: ما وقع في الإنجيل؛ يقول ابن القيم: «ثم أخذ دين المسيح في التبديل والتغيير، حتىٰ تناسخ واضمحل، ولم يبق بأيدي النصارىٰ منه شيء، بل ركبوا دينا بين دين المسيح ودين الفلاسفة عباد الأصنام، وراموا بذلك أن يتلطفوا للأمم؛ حتىٰ يدخلوهم في النصرانية، فنقلوهم من عبادة الأصنام المجسدة إلىٰ عبادة الصور التي لا ظل لها، ونقلوهم من السجود للشمس: إلىٰ السجود إلىٰ جهة المشرق، ونقلوهم من القول باتحاد العاقل والمعقول والعقل: إلىٰ القول باتحاد الأب والابن وروح القدس.

هذا ومعهم بقايا من دين المسيح، كالختان، والاغتسال من الجنابة، وتعظيم السبت وتحريم الخنزير، وتحريم ما حرمته التوراة، إلا ما أحل لهم بنصها.

ثم تناسخت الشريعة إلىٰ أن استحلوا الخنزير، وأحلوا السبت، وعُوضوا منه يوم الأحد، وتركوا الختان، والاغتسال من الجنابة، وكان المسيح يصلىٰ إلىٰ بيت المقدس، فصلوا هم إلىٰ المشرق، ولم يعظم المسيح عليه السلام صليبا قط، فعظموا هم الصليب وعبدوه، ولم يصم المسيح عليه السلام صومهم هذا أبدا، ولا شرعه، ولا أمر به البتة، بل هم وضعوه علىٰ هذا العدد، ونقلوه إلىٰ زمن الربيع، فجعلوا ما زادوا فيه من العدد عوضا عن نقله من الشهور الهلالية إلىٰ الشهور الرومية، وتعبدوا بالنجاسات، وكان المسيح عليه السلام في غاية الطهارة والطيب والنظافة، وأبعد الخلق عن النجاسة، فقصدوا بذلك تغيير دين اليهود، ومراغمتهم، فغيروا دين المسيح، وتقربوا إلىٰ الفلاسفة وعباد الأصنام، بأن وافقوهم في بعض الأمر

---

(١) هداية الحيارىٰ في أجوبة اليهود والنصارىٰ (ص٣١٢).

ليرضوهم به، وليستنصروا بذلك علىٰ اليهود.

ولما أخذ دين المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ في التغيير والفساد؛ اجتمعت النصارىٰ عدة مجامع تزيد علىٰ ثمانين مجمعًا، ثم يتفرقون علىٰ الاختلاف والتلاعن؛ يلعن بعضهم بعضا، حتىٰ قال فيهم بعض العقلاء: «لو اجتمع عشرة من النصارىٰ يتكلمون في حقيقة ما هم عليه لتفرقَّوا عن أحد عشر مذهبًا»»[1].

وهاهنا سؤال كيف كان التحريف من أهل الكتاب؟

والجواب: اختلف أهل العلم فيما وقع فيه التحريف الذي صدر من أهل الكتاب علىٰ قولين:

القول الأول: وقع في المعاني لا في الألفاظ.

وممن قال به الإمام البخاري: قال في صحيحه: «﴿ يُحَرِّفُونَ ﴾: يزيلون، وليس أحد يزيل لفظ كتاب من كتب الله عَزَّ وَجَلَّ، ولكنهم يحرفونه، يتأولونه علىٰ غير تأويله»[2]

القول الثاني: وقع في المعاني والألفاظ، **وهذا قول جمهور المسلمين.**

يقول ابن تيمية: «علماء المسلمين وعلماء أهل الكتاب متفقون علىٰ وقوع التحريف في المعاني والتفسير، وإن كانت كل طائفة تزعم أن الأخرىٰ هي التي حرفت المعاني.

وأما ألفاظ الكتاب: فقد ذهبت طائفة من علماء المسلمين إلىٰ أن ألفاظها لم تبدل، كما يقول ذلك من يقوله من أهل الكتاب.

وذهب كثير من علماء المسلمين وأهل الكتاب إلىٰ أنه بدل بعض ألفاظها»[3]

---

(١) إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان (٢/ ١٠١٩-١٠٢٠).

(٢) (٩/ ١٦٠).

(٣) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٢/ ٤١٩).

ومن الحجج التي احتج بها الفريق الأول:

١-أن التوراة قد انتشرت في البلدان، ولا يعلم عدد نسخها إلا الله تعالىٰ. ومن الممتنع أن يقع التواطؤ علىٰ التبديل والتغيير في جميع تلك النسخ، بحيث لا يبقىٰ في الأرض نسخة إلا مبدلة مغيرة.

٢-أن الله قال لنبيه ﷺ محتجا علىٰ اليهود بها: ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [آل عمران: ٩٣].

٣-أن اليهود قد اتفقوا علىٰ ترك فريضة الرجم، ولم يمكنهم تغييرها من التوراة، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أن اليهود جاءوا إلىٰ رسول الله ﷺ، فذكروا له أن رجلا منهم وامرأة زنيا، فقال لهم رسول الله ﷺ: «**ما تجدون في التوراة في شأن الرجم؟**». فقالوا: نفضحهم ويجلدون، فقال عبد الله بن سلام: كذبتم إن فيها الرجم فأتوا بالتوراة فنشروها، فوضع أحدهم يده علىٰ آية الرجم، فقرأ ما قبلها وما بعدها، فقال له عبد الله بن سلام: ارفع يدك، فرفع يده فإذا فيها آية الرجم» (١).

فلو كانوا قد بدلوا ألفاظ التوراة لكان هذا من أهم ما يبدلونه، وكذلك صفات النبي ﷺ.

٤-واحتجوا بقول الله تعالىٰ: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾﴾ [الأنعام: ١١٥] والتوراة من كلماته (٢).

ومن الحجج التي احتج بها الفريق الثاني:

أن ألفاظ الكتب السابقة لم تتواتر، فانقطع تواتر التوراة لما خرب بيت المقدس، وانقطع تواتر الإنجيل في أول الأمر.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٤/ ٢٠٦) ح٣٦٣٥.

(٢) انظر: إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان (٢/ ١١١٤-١١١٥).

والذين قالوا بأنه وقع التبديل في الألفاظ، اختلفوا: فمنهم من قال بتبديلها كلها، ومنهم من قال وقع التبديل في بعضها دون بعض.

والصحيح: أنه بدلت بعض ألفاظها، وقد بقي منها شيء لم يبدل كما قال تعالىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

ثم إن علماء اليهود لا يعتقدون أن هذه التوراة التي بأيديهم هي التي أنزلها الله علىٰ موسىٰ بن عمران بعينها، فالتوراة التي بأيديهم هي كتاب عُزير، ثم تداولتها أمة قد مزقها الله كل ممزق، فلحقها ثلاثة أمور:

أحدها: الزيادة والنقصان

الثاني: اختلاف الترجمة

الثالث: اختلاف التأويل والتفسير [١].

والذي يظهر: أننا لا نجزم بتبديل وتغيير جميع نسخ التوراة والإنجيل التي في الأرض، بحيث لا يبقىٰ في الأرض نسخة إلا مبدلة مغيرة.

لقوله تعالىٰ: ﴿ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ ﴾ [الأنعام: ١١٥] أي: لا مغير لها ولا محرف[٢].

قال ابن جرير الطبري: «ويعني بقوله: ﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ﴾، ثم يبدلون معناه وتأويله ويغيرونه. وأصله من «انحراف الشيء عن جهته»، وهو ميله عنها إلىٰ غيرها. فكذلك قوله: ﴿يُحَرِّفُونَهُۥ﴾ أي يميلونه عن وجهه ومعناه الذي هو معناه، إلىٰ غيره»[٣].

---

(١) انظر: إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان (٢/ ١١١٩-١١٢١).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٥/ ١٥١).

(٣) تفسير الطبري (٢/ ٢٤٩).

ولا يعني هذا: أن ما بين يدي اليهود والنصارىٰ الآن ليس محرفا، بل التحريف والتغيير فيه ظاهر لفظا ومعنىٰ، وهم لا يعتقدون أن ما بين أيديهم هي الكتب التي أنزلها الله، وإنما حصل بينهم وبينها انقطاع وضياع.

قال ابن القيم: «علماء اليهود وأحبارهم يعتقدون: أن هذه التوراة التي بأيديهم ليست هي التي أنزلها الله تعالىٰ علىٰ موسىٰ بن عمران بعينها؛ لأن موسىٰ عليه السلام صان التوراة عن بني إسرائيل، خوفًا من اختلافهم من بعده في تأويلها، المؤدي إلىٰ تفرقهم أحزابا، وإنما سلمها إلىٰ عشيرته أولاد لاوىٰ»[1].

وقال: «والنصارىٰ لا يقرون أن الإنجيل منزل من عند الله علىٰ المسيح، وأنه كلام الله، بل كل فرقهم مجمعون علىٰ أنها أربعة أناجيل تواريخ، ألفها أربعة رجال معروفون في أزمان مختلفة، ولا يعرفون عن الإنجيل غير هذا»[2].

* * *

(١) إغاثة اللهفان في مصائد الشيطان (٢/ ٣٥٨).

(٢) هداية الحيارىٰ في أجوبة اليهود والنصارىٰ (١/ ٣١٠).

• **المسألة الثانية: هل يجوز النظر والقراءة في الكتب السابقة التي دخلها التحريف:**

وفي بيان هذه المسألة ينظر لغرض القارئ، وتمكنه في العلم، فإن كان غرضه طلب الحق منها، أو لم يكن متمكنا فغي العلم فإنه لا يجوز له قراءتها؛ لأن مفسدة قراءتها علىٰ الدين تعظم علىٰ المصلحة.

وأما إذا كان متمكنًا من الراسخين في الإيمان، وكانت المصلحة راجحة علىٰ المفسدة، فيجوز له قراءتها.

قال الحافظ ابن حجر: «الأولىٰ في هذه المسألة التفرقة بين من لم يتمكن ويصر من الراسخين في الإيمان، فلا يجوز له النظر في شيء من ذلك بخلاف الراسخ فيجوز له ، ولاسيما عند الاحتياج إلىٰ الرد علىٰ المخالف، ويدل علىٰ ذلك نقل الأئمة قديمًا وحديثًا من التوراة، وإلزامهم اليهود بالتصديق بمحمد ﷺ بما يستخرجونه من كتابهم، ولولا اعتقادهم جواز النظر فيه لما فعلوه»[1].

* * *

---

(١) فتح الباريء (١٣/ ٦٥٥).

• **المسألة الثالثة: الكتب كلها متفقة في أصول الدين وقواعد الشريعة:**

قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥].

فقد أخبر الله في هذه الآية الكريمة أن رسالة الرسل كلهم واحدة، فليس هناك رسالة إلا وهي مشتملة علىٰ التوحيد، وهو أمر متفق عليه بين الرسل كلهم.

قال قتادة عند تفسيره لهذه الآية: «أرسلت الرسل بالإخلاص والتوحيد، لا يقبل منهم عمل - حتىٰ يقولوه ويقرّوا به، والشرائع مختلفة، في التوراة شريعة، وفي الإنجيل شريعة، وفي القرآن شريعة، حلال وحرام، وهذا كله في الإخلاص لله والتوحيد له»[١].

وقال ابن تيمية: «الذي أنزله الله هو دين واحد اتفقت عليه الكتب والرسل، وهم متفقون في أصول الدين وقواعد الشريعة، وإن تنوعوا في الشرعة والمنهاج، بين ناسخ ومنسوخ، فهو شبيه بتنوع حال الكتاب الواحد»[٢].

وقال ابن القيم: «الأصول الثلاثة التي اتفق عليها جميع الملل وجاءت بها جميع الرسل وهي: الإيمان بالله، واليوم الآخر، والأعمال الصالحة، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [البقرة: ٦٢]»[٣].

❊ ❊ ❊

---

(١) تفسير الطبري (١٨/ ٤٢٧).

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٢/ ٤٣٩).

(٣) الصواعق المرسلة (٣/ ١٠٩٦).

الخاتمة

الحمد لله الذي يسر إكمال هذا البحث بتوفيقه ومنته، والصلاة والسلام علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه ومن اتبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين، وبعد:

في نهاية هذا البحث أذكر أهم النتائج التي توصلت إليها، وهي كما يأتي:

١ - أن المقصود بالكتب هو: الكتب التي تضمنت كلام الله الذي أنزله علىٰ رسله.

٢ -أن الإيمان بالكتب يكون مجمّلا ومفصلًا.

٣- يجب الإيمان بالكتب من غير تفريق بينها، ولا تبعيض، والتفريق والتبعيض في الإيمان بالكتب يكون في القدر والوصف.

٤ - أن الإيمان بالكتب يكون بالاعتقاد والقول والعمل.

٥ - أهل الكلام يحصرون الإيمان بالكتب في التصديق.

٦ - أسماء الكتب التي ورد ذكرها في القرآن خمسة.

٧ -القرآن نزل منجمًا علىٰ حسب الوقائع، وهذا من خصائص القرآن.

٨- من الخصائص التي تميز بها القرآن عن الكتب السابقة أنه معجزة باقية إلىٰ قيام الساعة.

٩ - القرآن شاهد علىٰ الكتب السابقة، ومهيمن عليها.

١٠ - وجوه إعجاز القرآن لا تنحصر بعدد معين.

١١ - القرآن يسره الله للذكر، وليس ذلك إلا للقرآن.

١٢ - الله قد حفظ القرآن من كل تبديل وتغيير، وهذا من خصائص القرآن.

١٣- مما تميز به القرآن عن الكتب السابقة أنه شامل في خطابه لعموم الثقلين.

١٤- وقوع التحريف في الكتب السابقة.

١٥- لا يجوز النظر في الكتب السابقة إلا لمن تمكن وكان من الراسخين في العلم.

١٦- الكتب كلها متفقة في أصول الدين وقواعد الشريعة.

وفي الختام أسأل الله أن يجعل عملي خالصا لوجهه الكريم، وأن ينفع به المسلمين.

وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

❋ ❋ ❋

ثبت المصادر والمراجع

- الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة، عبيد الله بن بطة العكبري، تحقيق د. يوسف بن عبد الله الوابل، دار الراية، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ.
- أبكار الأفكار في أصول الدين، سيف الدين الآمدي، تحقيق أحمد محمد المهدي، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، الطبعة الثانية ١٤٢٤هـ.
- الأربعين في أصول الدين، أبو عبد الله الرازي، تحقيق أحمد حجازي، مكتبة الكليات الأزهرية، الطبعة الأولىٰ ١٤٠٦هـ.
- الإرشاد إلىٰ قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، أبو المعالي الجويني، من كتب الأشاعرة، تحقيق محمد يوسف موسىٰ وعلىٰ عبد الحميد، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الثالثة ١٤٢٢هـ.
- الإشارة في علم الكلام، الرازي، تحقيق هاني محمد، الناشر المكتبة الأزهرية للتراث.
- أصول الدين، عبد القاهر البغدادي، تحقيق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولىٰ ١٤٢٣هـ.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، دار عالم الفوائد، الطبعة الأولىٰ ١٤٢٦هـ.
- إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان، ابن قيم الجوزية، تخريج محمد ناصر الدين الألباني، تحقيق علي حسن، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولىٰ ١٤٢٤هـ.
- الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، أبو بكر الباقلاني، تحقيق عماد الدين حيدر، عالم الكتب، الطبعة الأولىٰ ١٤٠٧هـ.
- بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية ، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
- تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد، البيجوري، تحقيق علي جمعة، دار

السلام، الطبعة الرابعة ١٤٢٩هـ.

• تذكرة الحفاظ، شمس الدين محمد الذهبي، تحقيق عبد الرحمن المعلمي، دار الكتب العلمية بيروت.

• تعظيم قدر الصلاة، أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المَرْوَزِي ، مكتبة الدار – المدينة المنورة، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٦ .

• تفسير البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن ، محيي السنة، أبو محمد الحسين ابن مسعود البغوي ، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ.

• تفسير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري ، حققه: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٠ هـ.

• تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق سامي السلامة، دار طيبة، الطبعة الأولىٰ ١٤٢٢هـ.

• تفسير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ، أبو عبد الله القرطبي ، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية ، ١٣٨٤هـ.

• تهذيب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر، تعليق إبراهيم الزيبق وعادل مرشد، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولىٰ ١٤٢١هـ.

• تهذيب الكمال في أسماء الرجال، أبو الحجاج يوسف المزي، تحقيق بشار عواد، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولىٰ ١٤١٨هـ.

• تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، تحقيق محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ٢٠٠١م.

• الثقات، محمد بن حبان، دار الفكر، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٢هـ.

• جامع الترمذي، محمد بن عيسىٰ الترمذي، علق عليه محمد ناصر الدين الألباني، اعتنىٰ به مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة المعارف، الطبعة الأولىٰ.

- الجامع لشعب الإيمان، للبيهقي.
- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق د. علي الألمعي ود. عبد العزيز العسكر ود.حمدان الحمدان، دار الفضيلة، الطبعة الأولىٰ ١٤٢٤هـ.
- درء تعارض العقل والنقل، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود، الطبعة الثانية ١٤١١هـ.
- الرد علىٰ الجهمية، عثمان بن سعيد الدارمي، تعليق بدر بن عبد الله البدر، دار ابن الأثير الكويت، الطبعة الثانية ١٤١٦هـ.
- الرد علىٰ من أنكر الحرف والصوت، عبيد الله بن سعيد السجزي، تحقيق د. محمد باكريم باعبد الله، عمادة البحث العلمي، الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ.
- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة الأولىٰ ١٤٢٢هـ.
- السنة، لعبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق محمد بن سعيد القحطاني، رمادي للنشر، الطبعة الرابعة ١٤١٦هـ.
- السنة، أبو بكر أحمد بن محمد الخلال، تحقيق د. عطية الزهراني، دار الراية للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ.
- السنن الكبرىٰ، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق حسن شلبي ، إشراف شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولىٰ ١٤٢١هـ.
- سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي، أشرف علىٰ تحقيقه شعيب الأرنؤوط، الطبعة الحادية عشرة ١٤٢٢هـ.
- الشامل في أصول الاعتقاد، أبو المعالي الجويني، تحقيق عبد الله محمود، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولىٰ ١٤٢٠هـ.
- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم، هبة الله بن الحسن اللالكائي، تحقيق د. أحمد بن سعد

الغامدي، دار طيبة، الطبعة السابعة ١٤٢٢هـ.

• شرح الأصول الخمسة، القاضي عبد الجبار المعتزلي، من كتب المعتزلة، تحقيق عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، الطبعة الثالثة ١٤١٦هـ.

• شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، تخريج محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة التاسعة ١٤٠٨هـ.

• شرح مختصر الروضة، المؤلف: سليمان بن عبد القوي بن الكريم الطوفي الصرصري، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي،: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولىٰ ، ١٤٠٧ هـ.

• صحيح البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر،: دار طوق النجاة الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٢هـ.

• صحيح مسلم المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلىٰ رسول الله ﷺ، مسلم بن الحجاج ،تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي،: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

• صريح السنة، محمد بن جرير الطبري، تحقيق أكرم ين محمد الفالوجي، دار ابن عفان، الطبعة الأولىٰ ١٤٢٦هـ.

• العلو للعلي العظيم وإيضاح صحيح الأخبار من سقيمها، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق عبد الله بن صالح البراك، دار الوطن، الطبعة الأولىٰ ١٤٢٠هـ.

• غاية المرام في علم الكلام، علي بن أبي علىٰ الآمدي، من كتب الأشاعرة، تحقيق أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولىٰ ١٤٢٤هـ.

• فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر، الناشر: دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩.

• قواطع الأدلة في أصول الفقه، أبو المظفر منصور بن محمد السمعاني، تحقيق عبد الله بن حافظ بن أحمد حكمي، مكتبة التوبة، الطبعة الأولىٰ ١٤١٩هـ.

• لسان العرب، محمد بن مكرم بن علىٰ، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري ، دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ.

• مجموع الفتاوىٰ، شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع عبد الرحمن بن قاسم وساعده محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط١٤١٦هـ.

• مجموعة الرسائل والمسائل، ابن تيمية، علَّق عيه محمد رشيد رضا، لجنة التراث العلمي.

• المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب ابن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي ، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت،الطبعة: الأولىٰ – ١٤٢٢ هـ.

• محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من الحكماء والمتكلمين، الرازي، تحقيق حسين آتاي، مكتبة دار التراث، الطبعة الأولىٰ ١٤١١.

• مختصر الصواعق المرسلة علىٰ الجهمية والمعطلة، ابن قيم الجوزية، تحقيق الحسن العلوي، أضواء السلف، الطبعة الأولىٰ ١٤٢٥هـ.

• مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢١.

• المطالب العالية من العلم الإلهي، الرازي، دار الكتب العلمية.

• معاني القرآن، أبو زكريا يحيىٰ الفراء، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، الطبعة: الأولىٰ.

• معترك الأقران في إعجاز القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، الطبعة: الأولىٰ ١٤٠٨ هـ.

• مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، ط١٤٢٠هـ.

• الملل والنحل، الشهرستاني، من كتب الأشاعرة، دار مكتبة المتنبئ، الطبعة الثانية ١٩٩٢هـ.

• منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم، طبعت بجامعة الإمام، الطبعة الثانية ١٤١١هـ.

• نقض عثمان بن سعيد علىٰ المريسي الجهمي العنيد فيما افترىٰ علىٰ الله في التوحيد، تحقيق منصور السماري، أضواء السلف، الطبعة الأولىٰ ١٤١٩هـ.

• هداية الحيارىٰ في أجوبة اليهود والنصارىٰ، ابن قيم الجوزية ، تحقيق: محمد أحمد الحاج، الناشر: دار القلم، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٦هـ.

* * *

فهرس الموضوعات

❋ ❋ ❋